رصيد لسياحة الفكر

الجزء الرابع

تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

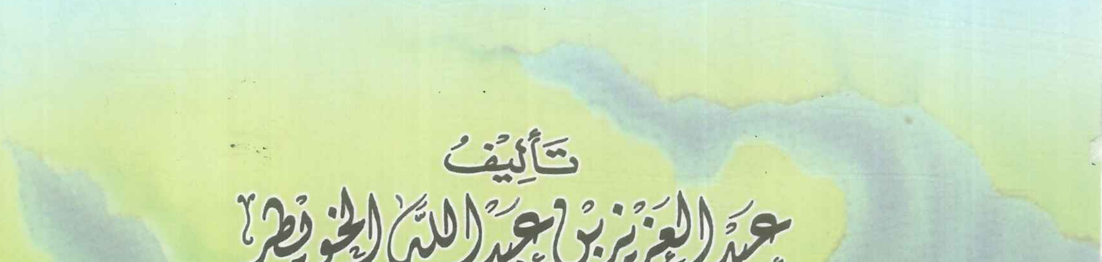

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رصد
لسياحة الفكر

تأليف
عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الجزء الرابع

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

ح عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله
رصد لسياحة الفكر: الجزء الرابع / عبدالعزيز بن
عبدالله الخويطر.-
الرياض، ١٤٢٩هـ
٤١١ ص؛ ١٤٫٥ × ٢١سم
ردمك: ٢-٦٠٨-٥٩-٩٩٦٠-٩٧٨
١ - الأدب العربي - السعودية - العصر الحديث.
العنوان
ديوي ٨١٠,٩٥٣١ ١٤٢٩/١٠٨٨
رقم الإيداع: ١٤٢٩/١٠٨٨
ردمك: ٢-٦٠٨-٥٩-٩٩٦٠-٩٧٨

الناشر
دار القمرين للنشر والإعلام
الرياض - ١١٤٩٩ - ص ب ٤٠١٠٤ - هاتف ٤٥٦٢٢٠٦

حقوق الطبع محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا هو الجزء الرابع من كتابي « رصد لسياحة الفكر » ، الذي جمعت فيه ما كتبته من مقدمات لكتب أحسن أصحابها الظن بي ، وشرفوني بكتابتها تقدمة لكتبهم ، أو دراسات لكتب نُشرت فَقَرأْتها ، وأوحت لي ببعض الأفكار عنها ، فكتبتها ، ونشرتها .

وراء جمع هذه المقدمات ، وهذه الدراسات ، في كتاب ، فكرة غزت فكري ، وسيطرت على ذهني ، واستولت على زواياه آمنت بها ، وتأكدت من فائدتها ، فَرُحْت أُخْرِجها

من حيِّز الفكر إلى صفحات الورق ، وأخذت أدعو لتَبنّيها ، وأُحِثُّ على اتخاذها نهجاً موصلاً لغاية مفيدة ، وأملت أن ينهج نهجي غيري ممن تستقطبه هذه الفكرة ، وأن يسير في جادتها ، حتى يحفر هو وغيره سبلا محمودة في إبقائها حية نشطة ، ولم أتقدم بهذه الدعوة ، وأُقْدِم على هذا النهج ، إلا لأني أدركت الفائدة للقارئ، والكاتب ، فهي نجدة للباحث ، وعضد لطالب المعرفة ، ومُيسّرة لاحتياز المعرفة في فن من الفنون التي احتوت عليها .

فيها جمع شتات لما هو مفرق في الصحف والمجلات ، أو جاء منجما حسب المناسبات والأحوال ، من كلمة في ندوة أو استقبال ، أو بحث في مؤتمر .

وتأكيداً للنفع ، واكتمال الفائدة ، تبنيت تصنيفا لهذه الكلمات ، فنوع منها خرج بعنوان : «بعد القول قول» ، وآخر تحت عنوان «السلام عليكم» ، أما هذا النوع الثالث فجاء بعنوان :

« رصد لسياحة الفكر »

وهو وصف – في نظري صادق – لأن الفكر ساح ببهجة وسرور في الكتب التي كتبت مقدمتها ، وفي الكتب التي

درستها ، وكل هذه القراءات ، وما تجمع من ملاحظات ، جاء نتيجة تأنٍ وتبصّر وتدبّر ، وبوتقة هذه الصفات هو الفكر ، وهو الجوهرة المضيئة التي أودعها الله رأس الإنسان وقلبه وضميره .

وكما قلت في مقدمة أحد الأجزاء السابقة، لست أول من فكّر في هذا ، ولست أول من اختاره أو تحمس له ، أو أقدم على تنفيذه ، وإنما أنا مقتدٍ بكتّاب سبقوني بأجيال من الكتّاب ، إلى هذا النهج القويم ، وكانت كتبهم متعة لنا ونحن نصعد سلم الثقافة ، وقد برز في هذا المجال كتّاب مرموقون في مصر ، وفي

لبنان ، وكتبهم اليوم تبتسم في رفوف المكتبة العربية ، ويُبتسم لها .

الدراسات التي ضمها كتاب : « رصد لساحة الفكر » جاءت باختيار منّي ، لأنها جاءت تحمل جاذبية ليس من السهل مقاومتها . برز فيها – من جملة ما برز – الفائدة الواضحة فيها ، مما لم لم أر معه أن يحرم منها من لم تتح له الفرصة أن يقرأ الكتاب أو يسمع عنه ، فجئت أدلي بدلوي في لفت نظره إليه ، وكشف بعض الزوايا التي أقنعتني بما في الكتاب من ميزات تستحق أن تعم أكبر عدد من القراء . أحاول في إبراز هذه المزايا أن آتي

بفكرة واضحة ولكنها مختصرة ، حتى تفيد ولا تمل ، وأحاذر من أن آتي بما يزاحم أفكار المؤلف . لهذا فهذه الدراسات لا تأخذ إلا الحيّز الذي تتطلبه ، لا تنقص ولا تزيد ، ولهذا يأتي بعضها أطول من بعض ، أو أقصر . ولكنها كلها تتماثل في الهدف ، وفي النهج والأسلوب .

أما النوع الثاني فهو مقدمات لكتب معدة للطبع ، وكلها كتبت بطلب من المؤلف ، ورغبة أبداها مبنية على حسن ظن بي ، وتوقع أن أضع أمام القارئ ، وبين يدي الكتَاب ، تعريفا يشبه الفهرس، أو ما يماثل خارطة الطريق ،

تساعد القارئ على معرفة ما هو مُقْدِم على قراءته ، مما يُقْنعه بالقراءة ، أو بتقديم قراءة هذا المؤلّف على غيره مما قد يكون منتظراً دوره ، وفي الوقت نفسه يكشف بعض الجوانب التي يَعْرف المقدِّم أنها تهم القارئ . وكاتب المقدمة قارئ ، وأقرب إلى صواب مخاطبة قارئ مثله .

وهذا الجزء - الذي غلبت عليه المقدمات - يعطي فكرة عن تنوع الكتب التي بسطتها أمامي، وعرضتها للنظرة المتدبرة ، والدراسة المتبصرة . لقد كان هناك قراءة متأنية ، وتمعن متثبت ، ولقد لبست لها ثياب الغوص بنية سبر

غـــورهـــا ، ومـــا قـد يكون هنـاك خلف سـجـاف الكلمـات ، وأسـتـار الجـمـل ، ممـا جاء بنتيـجة مـصيـبة أو متوهـمـة ، يدخل في ذلك المعــــاني والأفـكـار ، والصـــور والرسوم .

ولا يخلو جـمـعي لهـذه المقـدمـات ، ومـعـهـا الدراسـات ، ووضـعـهـا بين دفـتي كتـاب ، من دعـاية لهـذه الكتب المقـدمة أو المدروسة ، وأَمَلٌ أن يقدم من قرأ كتابي هذا علـى قــراءة كــتــاب الأصـل المـدروس أو المقـدم ويتملى بما فـيه مما زعمت أنه فـيـه ، - على حـد تعبـيـر طـه حسين - أو أمّلـت أن يوحى بــه ، يُحســن بعـض الإِخــوان

الظن بي ، ويطلبون مني تقديم انتاج عقولهم بعد أن تعبوا في التفكير فيه ، وقضوا الوقت في جمعه ، وبذلوا الجهد في المواءمة بين أجزائه ، والبحث عن حقائقه في مظان الكتب ، وتسقطه من أفواه الرجال ، وفي التنقيب في المصادر والمراجع ، وزيارة المكتبات العامة والخاصة، والمكث فيها الساعات الطوال ، والأيام العديدة المتوالية، فأجد أمام قصدهم إياي ، وحسن ظنهم بي – كما قلت – أنه من سابغ الشرف لي أن أستجيب لطلب صاحب المؤلَّف ، وأشعر أن هناك قرابة بيني وبين الكاتب ،

أوجدها تقارب الأفكار بيننا ، وهي قرابة قد تكون أحيانا أوفى من قرابة النسب ، وأشعر كذلك أن هذه اللُّحمة والتلاقي يسيران على قضيب هذا القطار المعنوي المضيء ، وهذه الهواية النبيلة ، بقوة وثبات .

وطالب كتابة المقدمة – خلاف الدراسة التي تأتي بعد صدور الكتاب ، يختار ، ومعه حق ، الوقت الذي يجب أن تصله فيه المقدمة ، وهو وإن لم يقل ذلك ، إلا أن الوضع يقتضيه ، فكتابه مُعدّ ، ومنتظر الطبع ، ولكني قد أكون غارقا إلى قمة رأسي في التزام عليّ سابق ، أو

التزام لي ملح في اتجاه مختلف تماما ، فيصبح من غير السهل عليّ أن أُحَوِّل وجهة فكري ، ونشاط عقلي ، فجأة إلى وجهة أخرى مختلفة تماما ، وتحتاج هذه الوجهة إلى استعداد نفسي ، ووقفة تأن ، وعمق تفكير ، وتهيئة جو مناسب يتلاءم مع ما وضع بين يدي مما لم أحسب له حسابا ، فتتصارع أحاسيس متضاربة داخل ذهني ، وقد أُنبِّه ، بعد موافقتي على كتابة مقدمة ما ، مَن قصدني ، إلى أن المدة قد تطول ، فيأتي الرد منه ، مع ابتسامة : « لعلها لا تطول » و «لن تعجز – إن شاء الله – أن تجد لي

بعض الوقت» . ثم ألين ، وكيف لا ألين ! وأمامي ضيف يطرق بابي ، وقد اختارني من بين سكان الحي «لأشاركه زاده الشهي ! !» . إنه من بالغ اللؤم ، والبعد عن النبل ، ألاّ أفتح له الباب على مصراعيه وأرحب به ، وأضع لزاده الذي أحضره معه المجلس اللائق به ، لنأكل معا طعاما ، يفرحه أن أمدحه ، ولا يضيره أن أبدي له ، بين آن آخر ، وأنا أتذوق الطعام ، أن الملح به بعض النقص ، أو الزيادة ، أو أن إبزاراً طغى على آخر ، وأن الطريق وهو آت إليّ بّرد الأكل، وأن ، وأن ، وأن ، حتى نَقوم من المائدة ، وهو فرح ، وأنا جذل ،

ولا نحتاج إلى مُهَضِّم ، فما ملأ جوانحنا نمنّ به على أن يفارقنا !!

لقد ساعدني صاحب الكتاب حقا عند ما طلب مني كتابة مقدمة لكتابه ، ولو لم يطلب مني ذلك فقد لا أقرأ كتابه أبداً، أو لا أعلم عنه، وإن علمت عنه فقد لا أقرؤه إلا في وقت متأخر ، وإن قرأته فقد لا أقرؤه قراءة من ينوي كتابة مقدمة له . وعلى هذا فأنا على قياس من «يجرّ إلى الجنة بالسلاسل» .

لهذا فإني أجد لذة كبرى ، وفائدة جُلَّى ، من قراءتي للكتب التي أكتُب لها مقدمة ، أو أقوم بدراستها ، وأشعر

بامتنان عميق لصاحبها الذي تسبب لي في قراءتها .

أرجو أن يجد هذا الجزء من كتابي: «رصد لسياحة الفكر» قارئين يستفيدون منه كما أمّلت، وأن يكون سببا لرجعتهم إلى أصول الكتب التي درستها ، أو قدمت لها .

والله المستعان في كل حال .

مقدمة

ديوان: "من النوادر" (١)

كثير من الناس يعرف أن الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي رجل أعمال ومال ناجح، ومن البارزين في هذا المجال، ومن الذين لهم سيرة حسنة في صدق الأمانة، وطيب التعامل، والمسارعة في عمل البر، والمساهمة في أعمال الخير، ولكن قليلاً من الناس يعرف أنه عصامي بدأ حياته صبياً عند عمه بالأجر، في مكة المكرمة، يعمل في دكانه وقتاً،

---

(١) للشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي، كتبت في ١٢/٩/١٤٢٥هـ.

ويحمل "زفة" الماء على كتفه بعض النهار، وأن هذا العمل على مافيه من مشقة وجهد، وقلة مردود، قد عده الشيخ محمد خيراً مما مر به قبله، إلى أن بدأ في التجارة، فنما معها، ونمت معه، وعرف كل منهما الآخر، عرف مراميها، وعرف سير التجار، وخبر تعاملهم، دخل التجارة، وفي نيته أن يكون أميناً صادقاً، فوفقه الله سبحانه، لأن من ركب مطية النية الحسنة لابد أن توصله إلى مقصده، وقد وصل أبو إبراهيم إلى ما خطط للوصول إليه، تاركاً وراءه صعوبات، متغلباً على ما اعترض طريقه من هزات

ليست غريبة على من عمل في التجارة، خاصة في وقت حرب عالمية، هصرت العالم بأجمعه، ورمت بظلالها على بلادنا، ولكنه كان ، مع أخيه، سباحاً ماهراً، استطاع أن يصل الشاطيء بسلام، وأن يهييء مفحصا مريحا في السوق التجارية السعودية.

يتوقع أن مثله يكون مشغول الذهن والجسم في أعماله التجارية، ولا يلتفت إلى رفاهة الفكر، وتسلية النفس، ولكن قد تكون هذه المشاكل التجارية، والظروف الصعبة، هي التي وراء عثوره على متنفس وجد فيه الراحة عندما تضيق

به السبل المادية. ونعم المتنفس الشعر، ولعله وجد في كل قصيدة ينظمها ابنا أو بنتاً، يأنس بقراءة ما أنتجته قريحته، وما قاله سجل متقن مفصل لما كان عليه ذهنه في أوقات مختلفة، مما جعل أغراض شعره تتركز في عدد منها، سيطرت على شعره، وغلبت على ذهنه، فصارت طاغية على ما يقول، وهو لا ينفر من ذلك، بل يجد لذة في أن يعيد ويكرر بصور مختلفة أنواعاً من الشعور أصبحت لازمة من لوازم قصائده، عليها مسحة السعادة حتى وهو يتكلم عن أحلك المواقف. روحه المرحة تغلبه وهذه نعمة من نعم الله تساعد المرء

في تفادي الوقوع في قبضة الكآبة والحزن.

من الأمور التي شاعت في قصائده حبه المنقطع النظير لزوجه، أم أولاده، واعترافه بجميلها عليه، مكرراً ذلك، وآتياً بهِ في صور مختلفة، يشيد بوقوفها بجانبه في أوقات الشدة، ولهذا انطبعت صورتها الخيرة في عدسة عينه، فهو لا يرى غيرها جميلة، مهما كانت الأخرى مزوقة ومصبغة ممن يَشْدَهْنَ غيره ممن يسافر إلى الخارج، ويتعرض للإغراء يقول في هذا الاتجاه قولاً صادقاً لا تكلف فيه.

والغرض الثاني حبه لأخيه، واعتزازه به، وإشادته بالتعاون بينهما، ومن

يعرفهما يحمد لهما هذه اللحمة التي اتسمت بها روح الأشقاء في ذلك الزمن.

ومن الأغراض التي تتكرر في شعره حبه لأولاده، ورعايته لهم، وحرصه على تعليمهم، ونصحه المتكرر لهم، وإعطاؤهم حصيلة تجارب عمره في الحياة، ومحاولة أن يكون ذلك في ذهنهم لا يغيب عنهم. وهو معهم في إقامته وسفره لا يغفل عنهم، وقد جاءت ثمرة هذه الرعاية، وحصيلة هذا الجهد، مرضية له، فهو يفاخر بهم، ويعتز بسيرهم في هذه الحياة، وتقر عينه عندما يراهم وأولادهم بسعادة وهناء، نتيجة

استقامتهم، وحماية الله لهم من الأمراض الخلقية المنتشرة بين الشباب في هذا الزمن. وقد قبل الله جهده، ورعى عنايته، فأبعدهم الله عما كان يحذرهم منه، وكانت عينه يقظة في بعدهم عما يشين.

صلة الرحم كذلك من الأمور التي جعلها نصب عينه، لا يغفل عنها، ويحث عليها، ويكرر ذلك بقدر ما كان هذا الأمر مسيطراً على شعوره، إيماناً بقضاء الواجب فيه، وإقراراً بفائدته، واستجابة لنداء ربه في صلة الرحم.

هذه لمحات عامة، وسوف أستعرض باختصار هذه الأمور وغيرها في شعره،

لأن الخبر ليس كالعيان، وسيرى القارىء فكر أبي إبراهيم كيف يعمل، وماذا يشغله، وإلى أي درجة وصل في ذهنه، أو في وضعه على قاعدة الواقع.

سوف لا أضع أفكاري التي سوف أخرج بها من قراءة الديوان مرتبة تحت عناوين تحكمها ، ولكني سوف آتي بها تباعاً حتى لو "خطم" بعضها على بعض:

مما لاحظته قدرته الفائقة على رسم صور معبرة رغم بساطتها؛ وتأثيرها يأتي من أنها مألوفة، وقريبة التناول للقارىء ، فهي من بيئته . قال في وصف ضاف لدور الأمهات، وما يقمن به من كد وكدح في

تربية أبنائهن:

« هن الذي تعبن علينا وحنّا

كالبيض محتاطه عروض كثيرات »

صورة دقيقة واضحة، بسيطة، أخذها من بيئته، وجمعت كل المخاطر التي قد يتعرض لها الطفل، لهشاشته ورقته، وكثرة الظروف التي تحيط به وتعرضه للخطر، فلا يكبر إلا وفي جسمه وروحه ندوب قد تكون عظيمة تصل إلى حد فقد العينين، أو عين واحدة، والأم طوال الوقت قلبها "يدف" لا تدري متى يدخل عليها ابنها صارخاً أو صائحاً،دمه يسيل، أو نفسه مكسورة.

إذا قيل ما الذي يشيب الوالدين؟ فقولوا تربية الأبناء، وخذوا عشرة من عشرة على هذا الجواب، اللهم ارحمهم واجعل جزاءهم من عندك يا جزيل العطاء.

وفي البيت الآتي من القصيدة نفسها صورة أخرى معبرة وصادقة، وهي من نزح بئر البيئة:

« لو نجتهد كل الجهد وانتعنا

مثل الذي ينزح من البير بغطاه »

لنا أن نتصور شخصاً همّ أن ينزح بئراً بغطاء وعاء، متى ينتهي البئر، بهذا الجهد الضائع، صور معبرة، ولا أظن الشاعر قد سُبق إلى مثل هذا الإتقان، هو مثل عنصره

ملموس، وليس فيه خيال يحتاج القارىء إلى اصطياد معناه اصطياداً، المعنى يهدي نفسه على أرض الواقع، ومع صغر الوعاء، فإن جمام البئر أسرع من النزح، وهكذا كل ما نعمله لوالداتنا قليل بجانب ما أعطيننا ويعطيننا.

وتأتي صورة عفوية وبسيطة ولكنها معبّرة ومن البيئة، وهي بهذا الأسلوب من مثبتات الفكرة التي يريد الشاعر أن يثبتها خاصة إذا كان الموضوع مما يهمه أن يتأكد أنه ثبت مثل النصائح لأولاده، وهذا مثل لإحدى تلك الصور:

« يا لْوِفي إِصبر على ما جاك مني
مثل ما يصبر على الطرد الحصانِ »

أول شطر نصيحة أب رؤوف بابنه الأكبر، يريده أن يصبر على ما قد يجده غير مريح له، سواء في النصائح التي يظن أنه يثقل بها عليه، أو بعض التصرفات التي قد لا يرى الحكمة فيها، ولكن الوالد المجرب يطلب منه أن يعطي الأمر وقتا للتفكير، فالصبر هو العلاج في هذا. ولأن النصيحة التي عدد جوانبها في القصيدة مهمة فإِنه يهمه أن تثبت، ولا شيء مثل ضرب المثل لذلك، وهذا له تأثير كبير خاصة إِذا جاء في بيت شعر يسهل حفظه.

وتأتي الصورة مرة أخرى عن أمر مسلم به، ولا يختلف فيه اثنان، وهذا أدعى للإقناع والاقتناع. ودون أن يتكلف يعطي وصفاً للحب، وإنه عام لجميع الناس، ولا ينجو منه أحد، أو لا يحرم النعمة منه أحد، وليثبت هذه الصورة الطبعية، التي لا تكلف فيها، ولم يتعب في البحث عن أدوات رسمها يقول:

« والحب مخلوق مع الخلق قاطبة

حتى الأشجار بعضها إلى بعض يميل »

وتكون وسيلة رسم الصور عنده عن طريق المقارنة، وهي وسيلة إيضاح مقنعة، وقد استفاد منها في بعض قصائده، ومن

الأمثلة على ذلك مقارنته الزوجة بالغانية:

« والله ما أضحي به ولا لي نية

الدر ثروة والصدف ببلاشِ

والشيص ما ينسب إلى البرحية

واللولو غالي واسأل الطواشي »

ويكاد يكون محور الديوان زوجه، وحبه لها، وما أضفت عليه من سعادة، وإقراره بمعروفها، ورجحانها على كل فتاة، وما قامت به تجاه والدته، وتجاه أولادهما.

وفي كل قصيدة يركز على فضيلة من فضائلها، وقد يعيد الشيء نفسه بصيغة أخرى في قصيدة ثانية، ولا يمل بل يجد

لذة، وكأن التكرار بإبداء هذه العواطف يسدد دينا من ديون عاطفتها تجاهه، وما أضفته على حياته من سعادة، بما تأتي به، وبما تتحمله، ويصعب التعليق على كل ما جاء به عنها في هذا الديوان، ولكني سوف أحاول أن أعطي صورة مختصرة لهذا الجانب في وجوهه المختلفة.

تثير فتاة رآها في الطائف في المثناة، ومثل كل شاعر، أخذ يعطي أوصافا وكأنه يمهد أن من سوف تغلب هذه الفتاة عنده فيها خير مما في هذه:

« قلت أوقفي، هيه، أنا كشات

وعندي غزال مربيها »

ويصف غزالهُ إلى أن يقول :

« ما به عيوب ولا هنّات
الحمد للي عطانيها
وإِن جا مواجيب وبه ربشات
ترضين صنعة أياديها »

وانتفض انتفاضة الوفي عندما عرض أحد أصدقائه تزويجه بزوجة أخرى، وهذه عادة سيئة تبدأ أحياناً مزحاً، وتنتهي بالفعل، وقد تَخْرُب بيوت، وتشقى أنفس بسبب ذلك، ولكن أبا إِبراهيم أساسه في المودة والرحمة أقوى من أن تزعزعه كلمات عابرة، وليس هو الذي يقع في الشراك، فكان رده على صديقه قاطعاً :

« مهما تعرض ومهما بي تهلي
عندي كحيلة أصيلة من أصايل
مأمونة حرة تشيل حملي
وتصبر على غلطتي لو كنت عايل
حنا الذي حبنا ما يضمحلي
أرسى من الراسيات وله دلايل »

ويستمر على هذا المنوال إلى آخر القصيدة، فيذكر أنها معروفة بخصالها الحميدة عند جميع الأقارب، ثم يأخذ في أوصافها أوصاف الريم. وهذا جعله يشتاق لها إذا كانت بعيدة عنه، ولعل هذا ما دفع صديقه أن يقترح الزواج.

وتبرز أمامه صورة زوجه. عندما كان

في ماليزيا وداعب عبد الله العبد الرحمن السعدي فتاة في سرواك تطبع على الآلة الكاتبة، وتجاذبوا معها الحديث، فرسم الشاعر صورة تلك المقابلة التي أعادت ذهنه إلى زوجته، لتغلب صورتها صورة تلك البنت وغيرها ممن مررن بهم في هذا البلد :

« ولي ظبي أحسن منك يا دايخ الراس
وريِّع على هونك ترانا رجالا »

إلى أن يقول :

« لو تجتمع مدراس وما به من الناس
واللي سكن هنكونج وذيك التلالا

والله ما يسوون ظفر أشقر الرأس
كل الحريم نجوم وهي الهلالا »
ثم يستطرد إلى أن يقول أنه وزوجه متكاملان، ويقر بمعروفها عليه، ودمحها لأخطائه :

« أعيذه بربي من حسد بعض الأنجاس
ذرب مكمِّلني وأنا له كمالا
والله يجيره من هوى كل دساس
ومن هي تروف بزوجها والحلالا
يا ما تحديته واخطيت يا ناس
وهي تحداني بطيب ودلالا
ما يجحد المعروف غير أرذل الناس
أو فاشل حاقد عقوق زمالا »

ومر الشاعر بألمانيا في طريقه إلى لندن وأمريكا مع بعض الأصدقاء، وبدأ قصيدة أوحى بها كرتون كبير سبب لهم بعض المشاكل، ولكن سرعان ما وجه القصيدة إلى هواية فؤاده، فقال في بعض ما قال :

« وكل ما شفت المحاسن ذكرني
بالعزيز ين الوفيين وكماني
صاحب مملوح في طيبه فتني
أدعج العينين عود الخيزراني
في مكارم صاحبي ما خاب ظني
كامل الأوصاف مجلي الثمان
وخابر خلي وفي أخير مني
كم تجاهل غلطتي ولا شناني »

يلاحظ أنه ممنون من زوجه لأنها تتحمل أخطاءه، وأتصور أنه يأتي من العمل مرهقا، وقد يكون مر بما أغضبه، وعادة الرجل في مثل هذه الحال يفرغ غضبه على أهل بيته، والمرأة العاقل لا تتحمل هذا من زوجها فقط بل تفرح بهذا الغضب يصب شؤبوبه على رأسها، لأنها تشعر أنها هي أداة تفريج كربه، وتبديد همه، وهو عليه أن يكون مثلها فيما لو تعرضت لما يغضبها، فعليه أن يتحملها، وأن يسليها، ويجب أن يشعر أنهما كيان واحد، لا شريكان، ليتحقق ما ورد في كتاب الله الذي قال: وجعلنا

بينكم مودة ورحمة، يتحمل أحدهما الآخر مودة ورحمة، وإلا فالشراكة تكون في التجارة لا في الأسر.

وفي أبيات عنوانها: (وفاء وإخلاص) تتدفق العواطف تترى، كأنها سيل منحدر، كل معنى آخذ بطرف الآخر، عدّد الفضائل، وسكب روحه صادقة مخلصة فيما قال، وكانت زوجه - دون علمه - قد أجري لها عملية في العين، فكانت صدمة له رؤية عينها معصوبة، فجرت العاطفة سيلا زاخراً بالدعاء لها، وهي التي لا مثيل لها، في دينها، وعشرتها، وحسن حديثها،

وأشـــاد برضى والدته عليـــهـــا ، وكل من قصدها طالباً معروفاً ، ودعا لها ، وأكد أنها ثمينة قبل أن تُجرى لها العملية ، وبعدها أصبحت جوهرة ، وزاد جمالها . ثم استمر يعدد صفاتها الحميدة ، ونفعها لبيتها ومن فيه . وقد بدأها بقولـه :

« سلامتك يا شمعة البيت والحي

سلامتك لا باس يا أم العيالا »

وتستحق أن تقرأ من أولها إلى آخرها ، ففيها صور متماسكة ، يتلو بعضها بعضا ، يشع منها النور المنطلق من المحبة والوفاء ، والتقدير لما تقوم به من دور أضفى عليه وعلى بيته نعمة وافية ، وسعادة شاملة .

وفي عنوان آخر سماه: (أدعج العينين) دخل روض غزل وإعجاب بزوجه، ولا يخرج الحديث عنها إلا استطراداً متصلاً بما تتميز به من خلق.

مما في زوجه المحبوبة من صفات يحصنها بقدرة الله من الحاسد. وعند مقارنته إياها بغيرها تزيد حسناً وإخلاصاً، ويزيد إعجابه بها، ولا يفرط فيها لو دفعوا له المبالغ العالية. وأكد أنها تحبه وهو يحبها، وأنها لا تبخل عليه بشيء، ولا يبخل هو عليها بشيء، حتى لو كان المطلوب في جبل قاف، ويستمر حتى يصل إلى برها بأقربائه، إلى آخر ما جاء

مفصلا في أبيات القصيدة، ولا يشفي ذكره، ولا يغني إلا قراءته في قصيدته ونظمه.

يقول في مطلع القصيدة :

« عليه الله أكبر جاره الله محبوبي
أعيذه من الحاسد بربي وهو كافي »

وينتهز فرصة القول في أي مناسبة ليلوي عنان فرسه تجاه زوجه، ويصب في حوض محبتها رائق القول، معطيا نفسه القياد في قول ما تجيش به نفسه، يقول في مطلع قصيدة:

« أبو خالد مع خواته والمدام
زوجتي خمسين عام في عسل

تصبر على الزلات ولا تسمع كلام

منيرةٍ الحارة ولأقاربنا أهل »

وهذه الصفات من أبرز الصفات المؤملة في الزوجة، ولهذا يأتي بهذه المعاني بصور مختلفة، وكأنه يريد أن يؤكد امتنانه لاتصاف زوجه بها، ويشكر الله على هذه النعم.

وبعد عدة أبيات في هذه القصيدة يقول:

« الصايمة القايمة بنت الحشام

يا ما رعتني وانجبت من مهاة وبطل »

واستفزته قصيدة قرأها، وأحباؤه خارج المملكة فجادت القريحة بما جادت

به، ولم ينس أن يعرج على زوجه التي تحتل حيزاً رحباً في فؤاده، فيقول بوزن جديد وقافية جديدة، وأثواب من المعاني جديدة، بعد أن عدد أماكن أبنائه وبناته في قلبه، فيقول:

« واللي تراضيني وتدمح لي زلتي
عزّ الله أن شكلها بالحريم قليل
ولرضاي ترضى وان زعلت تكدرت
عساها في نعمة ولا أدور لها بديل
تستاهل أمدحها وأقدر ظروفها
ما ناب جحّاد ولا ناب رزيل »

إلى آخر ما جاء من كلمات مضيئة عما تتسم به من خلق، وما هي عليه من صفات

حـمـيـدة، وهـذا مـوضـوع واسع لو أطلق العنان للقلم لكتب فـيـه عـشـرات الصفحات، ولأن صفحات المقدمات لها حد فسوف أكتفي بهذه الأمثلة، وانتقل إلى موضوع آخر كان هو شغل الشاعر الشاغل قبل زواجه وبعد زواجه، وهو حبه لوالدته، وتقديره لها، والإقرار بفضلها، وتحملها شظف العيش الذي مرت به، ونذر حياتها لتربية أبنائها، ورعايتهم، والسهر على مصالحهم، وتحمل الشدائد وظروف الحياة الصعبة، وقد حببته والدته لكل الأمهات، وقد عرف قدرها، وبربها، وزادت محبته لزوجه، لاحترامها لوالدته،

وتقديرها لها، وهذا مقدر منه كثيراً، ولم يغب عن باله، فهو يشيد بهذه الفضيلة، التي لا تستغرب من ذات الأصل الزاكي، والعرق النبيل.

كان كده وتعبه في أول حياته يحفزه حرصه على أن يهيىء لوالدته حياة فيها يسر العيش، وراحة البال، فكانت - رحمها الله - دائماً في ذهنه، وأمام عينيه، هي وأخوه، فتحمل الصعاب من أجل ذلك، ولم يضع الله عمله، وأعطاه بقدر نيته الطيبة، فحقق له مطلوبه، وأقدره على البر بها، ونقلها من حياة الشظف إلى حياة الرخاء. وهذا جعل بال

الشاعر يهدأ، ونفسه تطمئن، لأنه أصبح بإمكانه أن يحقق لها ما يسعدها ويريحها.

ولأنه (رامها) و (رامته) لم يطق فراقها عندما سافرت والدته مع أخيه عبدالله من المسيجيد، حيث عمله، إلى زيارة المسجد النبوي بالمدينة، فأحسّ الشاعر بالفراغ، وفقدهما، فجاشت نفسه بأبيات تُري ما بداخل صدره من عواطف تجاهها: وبدأ القصيدة، وهي أول قصيدة في الديوان:

« البارحة يوم أن كل تهنا
كل غفت عينه بجنب الحبيبات

وأنا دموعي جارية ما تونا

من فقد من له بالحشا مثل أبانات »

ثم يقــول :

« ترى الولد يأتي بداله مثنا

وترى بدال الخل نلقى خليلات »

وهذا تمهــيــد لتــأكــيــد منزلة الــوالد ، وقــيــمــتــه عـنـد الولد ، إذا الله وفــقــه لمعرفــة الواجب في هذا المجال .ثم يدلف إلى ما في ذهنه عن الأمهات :

« ترى المصيبة بالذي يوم كنا

نرقد طرب وهن ساهرات عليلات

يا ما القذر بيديهن شيل عنا

والهمّ منا صابهن والحسارات

هن الذي حقٍ علينا لـهــنّ

السمــع والطاعــة بكل الجوابات

هن الذي تعبن علينا وحنّا

كالبيض محتاطه عروض كثيرات »

وهـذا يؤدي بـه إلى الحـــــديث عـن الأمهات عموماً فيقــول :

« يرضن لرضانا وهن يزعلن

إلى زعلنا وإن مرضنا مريضات

الله لا يقطع رجاهــن منا

حتى إننا نتعب وهن مستريحات »

ويستمـر في هذا الاتجاه إلى أن يقـر بأن أي عــمل نقــوم به تجــاههن لا يـوفــيــهن حــقــهن، ولا يوفــيــهن حــقــهن إلا رب

السماوات، برحمته لهن وادخالهن جنّات عدن.

ثم ينتقل إلى توجيه الشباب إلى واجبهم تجاه والديهم، وهذا يدخل ضمنه التواضع لهم، والتغاضي عن أخطائهم، حتى ينالوا هذا من أبنائهم. ويحذرهم من عقاب الله إذا خالفوا أوامره تجاههم. ثم يقتبس من القرآن الكريم ما أمر الله به من بر بالوالدين، وعليهم ألا يقولوا لهم "أف" ولا ينهروهم، وعليه أن يخفضوا لهم جناح الذل من الرحمة.

ثم يعود قبل نهاية القصيدة ويطلب من سامعه أن لا يلومه على نياحه على

فراق أحبائه، فالحيوان يحن:

« وقبلي على فرقا الحبايب تحنا
الخلوج والذيبة وخلق كثيرات »

وفي قصيدة عنوانها: (ليلة الجمعة بعاشر من صفر) ، سافرت والدته ومعها أخوه ، فاستوحش لفراقهما، فكتب القصيدة، وأودعها أشجانه ، يقول في بعض أبياتها بعد أن استهلها بتاريخ سفر حبيبيه :

« يوم جيت البيت في وقت الظهر
والاه مظلم والجميع مكتمين
هل دمع العين والكل انفجر
بعده استغفرت خير الحافظين »

إلى أن يقـول :

« يا الله أني طالبك تاقا الخطر
نورهـم واللـي بجنبـه راكبـين
نور عيني وفرحتي مد الدهر
الله يجيره مـن عموم الحاسدين
الوالدة ما شي كما ها بالبشر
تعبت وربتنـا وحنا مصغريـن »

وسـافـرت والدته إلى مكة، وفـراقـهـا يثيـر أشجانه، فيسكبها في القصيد الذي ينفس عنه، ويخفض عنه لوعـة الفـراق، والقـصـيـدة تحت عنوان: (ياالعبـرة اللي بالحناجر تحجرت). يقول من جملـة مـا قالـه عن والدتـه :

« الله يا قاها الـمخاطر ومن معه
هي نور عيني وهو عزه ولو رأت »
ثـم قـال :
« والوالدة محد كما ها يهمني
ولكنها أقسام خطت وقدرت
وأنا أدور رضاه مهما أصابني
وتهمني راحة حبيبتي ولو نأت
الوالدة ممن يساعد على الرضى
ومع دمحها الزلات ما قط تحجمت
البيت أظلم والذي فيه أظلموا
يوم البوينج أقبل زئيره وحلقت
لأنها تبي تحمل من الروح بعضها
وبلمح البصر اقفت بهم ثم أقلعت »

ثم يقول بعد أبيات :

« وللك الله يا قلب يخفق ويصطفق
وللك الله يا روح بعدها تألمت
ولله أولاد يقولون وينها
وين الحنون اللي علينا تعطفت
وينه تراعينا وترعى شؤوننا
وعنا تذود وتقنع اللي تهاونت
وين الذي كدّت عليكم وجاهدت
وقاست مرور ولأجلكم كم تعذبت »

وهو بهذا يظهر ما قامت به نحو الأولاد مما استحقت عليه ما عدده من جوانب رعايتها.

وفي قصيدة (وفاء وإخلاص)

لا ينسى والدتـه ، ويقـرنـهـا بوالدة زوجـه ، فيقـول :

« أمي وأمك جعل يفداهم الحي
هـل الخصال النادرة والكمالا
يا ما شقوا من أجلنا وانكووا كيّ
هل الوفا والطيب في كل حالا »

وفي القـصـيـدة نفسـهـا يقـرن والدته بأحبائه فيقـول عنهـا :

« أمي واخوي وعزوتي جوهر أصلي
وخوالنا العماش نعم الرجـالا »

وفي القـصـيـدة التي عنوانهـا : (هات اليراع وآلة التسجيل) يأتي بذكر والدته ، ويتبع ذلك الحديث عن أخيــه :

« واشتقت لأحبابي وأهلي وعزوتي
وأيضاً لمن نوره كما القنديل
أخص منهم بالتحية والشكر والثنا
الوالدة فضله وعطفه علي جزيل
الوالدة ما أقدر أعدّد فضايله
ولا أجزاه مهما عملت مستحيل»

وفي هذا كله تأكيد لما سبق أن قاله عن والدته وفضلها عليه وعلى أخيه، وتكرار هذا وبقية صفاتها أمر يحلو له، وكأنه يريد أن يرد لها الجميل، بتكرار الاعتراف بما لها عليه، وهذا أمر مقدر له، ومشكور عليه.

ما مر بنا ما هو إلا نماذج عما قاله عن

والدته ، التي لم تكن تغيب عن ذهنه ، ولم ينسها ، وهي صاحبة المعروف في كدها وكدحها وتضحيتها ، وهي تستحق هذا منه ، هي وكل أم ابنها وفيّ ، وبارٌ بها .

والركن الثالث في المحبة أخوه عبد الله ، وعاطفته نحوه واضحة ، ولا تستغرب منه ، فهو شقيقه ، وهو مثله تعرض للمعاناة ، ولأنه أصغر منه يشعر- لغياب والده - أنه والدٌ له ، وهو عنه مسؤول ، ومثلما اشتركا في والديهما اشتركا في تجارتهما ، وكدحهما ، وما قابلاه من صلف الحياة ، وشظف العيش .

ومن يتمعن فيما ورد عن أخيه يدرك حرارة

عاطفة الأخوة بينهما، وهي لا تستغرب بين شقيق وشقيقه، مع زكاء في الأصل، وعراقة في الأرومة، والذي يستغرب هو ما يأتي خلاف ذلك، وسوف أستعرض نماذج مما استوقفني في هذا المجال، في قصائد الديوان، وفي القصائد الأولى عندما كان عازباً كان ذكر أخيه عبدالله يأتي مع ذكره لوالدته، ثم صار له حق وحده فيما بعد.

يقول في عام ١٣٥١هـ عندما سافرت والدته مع أخيه إلى المدينة لزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام واشتاق إليهما، وشعر بالوحدة لغيابهما، وذكر والدته بكل خير، وعدد صفاتها

الحميدة عرج على أخيه، وأبان له نصيبه من المحبة والشوق، فقال في القصيدة التي عنوانها : (البارحة يوم كل تهنا) :

« يا خوي يا ذخري عليك أتمنى
وانته وفيّ عجّل كفا اليوم مافات
من بعدكم سهران واتعب واوِنّا
وانته شريكي بالألم والمسرات

وسفر والدته وأخيه يثير أشجانه ، لأنه يشعر بفقدهما، ويصبح المكان مظلما بدونهما ،وهذا يجعله ينفس عن نفسه بالأبيات التي ينفثها خارجة من قلبه، وفي القصيدة التي عنوانها : (ليلة الجمعة بعاشر من صفر) يخص أخاه، بعد والدته،

بالأبيات الآتيـة :

« يا عضيدي يا شريكي بالأمر
عجِّلوا تكفى ترى قلبي حزين
عجِّلوا يا خوي واقضوا هالوطر
مدكم ربي بتوفيـق مبـين
الفراق أمرّ من مُرّ وصبـر
للمحب الوافي الشهم الأمين
والشغل واجد واضنان السهر
والجمعا معزة وأنت سيد العارفين »

وأخاه عبدالله عندما سافر مع والدتـه لعنيـزة ، كـان ينوي الزواج، ولـهذا بعد أن حثه على سرعة العودة قـال لـه :

« لا تلتهي عنا بمهضوم الخصر
كامل الأوصاف وضاح الجبين
والتحية والسعادة والظفر
فالكم دايم وكل السامعين
وترى الخشوف من الظبا لازم تفر
وتلهي الصياد فاحرص يا فطين
دار ظبيك سايسه حتى يقر
صرتم لبعض أسرة ومتلاحقين »

وفي القصيدة التي عنوانها : (يالعبرة اللي بالحناجر تحجرت) يقول وقد سافرت والدته من الرياض إلى مكة، ذاكراً أخاه فيها :

« عضيدي شقيقي يقصر المدح دونه
همام وفي طيباته تعددت »

ويأتي بذكره مادحا في القصيدة التي عنوانها : (سلام ياللي عفشه بكرتون) ، ويجدها فرصة عندما يعدد فضائل أفراد أسرته ، فيعرج على الاعتزاز بدور أخيه ، وما يتميز به ، ويشيد بصفاته الحميدة :

« عضدي وذخري حازم مأمون
نعم العضيد ونعم رأس المال
يفداه أهل روما ومن في بون
واللي سكن لندن جنوب وشمال
يا واحدٍ أحد أمره يكون
أنك تعينه دوم والانجال

وأنا كذلك.. ونركب الحرذون

ولا يهمنا العمل لو هو طال

أنا واخوي.. ونتبع القانون

ونتابع الأعمال ونرفض الإهمال »

وفي القصيدة التي عنوانها: (عمل وكفاح) يسرع إلى ذكر أخيه، ومعاضدته له، ويتحمل معه المشاق، بدون منة، ويخاطر معه إذا أوجب الأمر ذلك:

« وعضيدي معي دايم يكافح ويبرا

ويتحمل الغلطة ولاهوب منان

ونخاطر بالأرواح ظهراً وغدرا

ومعنا الذهب بالتكس أشكال مليان

جانا السحور وحنا نحاسب ونقرا

وزميلنا عاف العصيد وتسحر بفنجان

بهذا تطورنا ونكرم ونطرا

والخامل المحتال انحاس وانهان »

وفي القصيدة التي عنوانها : (ألف شكر) يعدد أشخاصاً يخصهم بالشكر ثم يأتي بذكر أخيه، بعد أن تحدث عن بعض أبنائه، فيقول :

« وعمهم ونسله لي ذخر وسنام

وأنا ونسلي وما نملك لهم على الأقل

هكذا الأحباب دايم بانتظام

يتسابقون الطيب وممنوع الزعل

ما ينكر المعروف رجل له مقام
ويرجو ثواب الله وتحقيق الأمل»

وفي القصيدة التي عنوانها : (هات اليراع وآلة التسجيل) بعد أن تحدث عن والدته ثنى بأخيه فقال :

« وعضيدي الفاهم المخلص الوفي
فخري وذخري ما ألقى له مثيل
تقيّ نقيّ حازم متواضع
صريح واصل لو زعل ما يميل
الله يحفظه بخير ودايما متعافي
كحيلان معروف ما يحتاج له دليل»

وفي ما مر نماذج تُري عمق عاطفته ومحبته لأخيه، وهو حب تسلسل على

أبنائه، وهو يعدهم مثل أبنائه.

والركن الرابع في صرح اهتمامه أبناؤه وبناته، وقد أخذوا حيزاً وافياً من تفكيره الذي سكبه في قصائد الديوان، فمثل والدتهم لا تكاد تخلو قصيدة من ذكرهم أو ذكر أولادهم.

فهي تتركز في الشوق إليهم إذا سافروا، أو سافر عنهم، وفي نصيحتهم، وإمدادهم بالحكم التي هي نتيجة تجربته في الحياة، وهو لا يمل من إسدائها في كل مناسبة، ويحرص على الإضافة إلى ما سبق أن أبداه، وتُحدد ذلك الظروف والأحوال. ويرد في قصائده تشجيعهم

على المضي على ما حمده منهم، وتحذيرهم مما فيه مزالق.

ويرسم في القصيدة التي مطلعها: (يا العبرة اللي بالحناجر تحجرت)، صورة لعلاقة أولاده بوالدته، جدتهم، وتعلقهم بها، وشوقهم إليها عندما سافرت، يقول:

« ولله أولاد يقولون وينها
وين الحنون اللي علينا تعطفت
وينه تراعينا وترعى شؤوننا
وعنا تذود وتقنع اللي تهاونت
وين الذي كدت عليكم وجاهدت
وقاست مرور ولأجلكم كم تعذبت »

وفي القصيدة التي عنوانها : (سلام ياللي عفشه بكرتون) ، يعطي حيزا فيها لأولاده وقد سافر إلى لندن وأمريكا ماراً بألمانيا ، ومعه صحبة من جملتهم ابنيه ناصر وعبدالعزيز ، فيقول :

« إبراهيم وإخوانه وهم يحجون

وأبناء عمهم وأخواتهم والآل

وناصر تعب لعلاجي الدندون

رجلٍ خبير من وراه أعمال

وعبدالعزيز الشاطر الموزون

والشبل صالح طيب الأفعال »

ثم بعد هذه الأبيات ينتقل للنصيحة والتوجيه والإرشاد ، وهذه أمور تأخذ

حيزاً وافياً من فكره عندما يخاطب أبناءه يقــول :

« يا عيــالنا وأحبابنا تكفــون
بنا اقتــدوا وأمثــالنــا العقّــال
ترى بالتفاهم عزكم مضمــون
وتعيشون في راحة وأحسن حال
والـجمعا معزة قالها الـماضون
واثبتــها الواقــع بــلا جدال
وتشاوروا فالشــور به ترضــون
ومن أخطأ فيرجع في سماحة بال »

إلى آخر ما عدده مما يود أن يضعه أمام أعينهم من وجوب التسابق إلى الطيبات ، وفي هذا نجاة لهم دنيا ودينا ، ويذكرهم بما

ورد في سور القرآن وفي الأحاديث من الهدي والإرشاد. وحذرهم من الشيطان ووساوسه، وأوصاهم بتقوى الله، وبر الوالدين، وصلة الرحم. وهذه أمور سوف يتكرر منه لفت النظر إليها، دليل أنها شاغلة لذهنه.

وفي قصيدة مطلعها : (يا إبراهيم استمع ها القاف مني) ، صب كل نصائحه ، ووضع برنامجاً واضحاً لابنه إبراهيم ، وهو لعموم أبنائه وبناته ، جمع فيه كل ما أرادهم أن يكونوا عليه قرباً من أمر أو بعداً منه :

« يا إبراهيم استمع ها القاف مني
جـارك الله من غرابيل الزمان
الوالدات أحرص وكل أهلك بهن
وقل لهم أمي لها فضـل وشاني »

ثم يوجه من باريس بأن يبلغ سلامه لعمه الغالي ومن هو في مكان والده، ولأبي الوليد، وهو من أخباره تعجبه، ومن عرف بالحزم والفهم وليس له مثيل، ويبلغ إبراهيم عن ناصر، وهو معه في باريس، بأنه سره بطيبه وأناته، وسلامه أيضاً لأخواته وأبناء عمه، مع تأكده من أنه لا يحتاج أن يؤكد عليه في هذا.

ويحثه على الصبر على ما قد يبدر من

والده مما لا يرضيه، ويستسمحه إن حصل منه زلة أو خطأ، ويؤكد له أنه يحس بآلامه.

ثم يعرج على الموضوع الذي يحبه ويجذبه بقوة عندما يفكر في أبنائه أو يتحدث إليهم، وهو الإرشاد تحبيباً أو تحذيراً، فيقول:

« ترى الحماقة والعناد يحطمن

انتبه لاحظ على طول الزمان

والتكاسل والتتاكل يعد من

والمجامل كم هدم عز ومبان »

ثم يحذره من أن يغره ابتسام غيره، أو مدحهم، وأمره أن يكون يقظا مع كل

الناس، وحثه على مراجعة حساباته وعمله، وحثه على الحزم، ففيه راحة وطمأنينة، وحذره من المعاصي فهي تذهب الكسب، وأمامه نماذج من ذلك، وحثه على الرجولة، ولفت نظره للمقارنة بين ناجح ومخفق. وحثه على خوف الله، وعلى الأمانة،والبر بأهله، وعلى الصراحة ففيها ضمان النجاح. وحثه على شكر الله على النعم التي أسداها عليهم. ثم بعد أبيات أبعد فيها عن النصح يعود فيقول له :

« اغتنم أوقات درسك لا تون
ناظر اللي اغتنم بأعلى مكاني

وناظر اللي أهملوا راحوا هبنى
يخدمون الناجحين بذل وامتهاني
واحذر الفاشل والأبله والتمنى
ما نفع غيرك كثيرات التماني »

وينتهز الفرص المواتية، عندما يغيب أحبته عن عينه، في سفر، يجهزهم بنصائح تبقى معهم نيابة عنه، وهم عنده، فعينه عليهم، فإذا غابوا حلت محله نصائحه وإرشاداته ودعاؤه، يقول من قصيدة عنوانها: (عمل وكفاح) وجهها لابنه إبراهيم وزوجه وأبنائه عندما سافروا لأمريكا، بعد أن أبدى لواعج الفراق:

« فاحرص وتابع واغتنم دوم واذرا
على صحتك مع سمعتك بين سبعان
وتراني ورا كم دوم شبرا بشبرا
فاحذر وحذّر وافهم العلم يا حصان »

ثم يلتفت إلى آخر من الأولاد فيقول :

« يا اللي تخصص في أمريكا وسويسرا
تغانم الفرصة ولا يقولون كسلان »

ثم يوصيهم بتقوى الله سراً وجهراً، وبصلة الرحم، وتقوى الله، وفيها الفوز في الدارين. ثم يأخذ في التخصيص مخبراً عن الأفراد :

« وصالح نجح وأخباره دايم تسرا
فتسابقوا للطيب في كل ميدان

وأبو وليد الفاهم الشهم الادرا

واخوانه الأبطال وللوفا أعوان »

ثم يذكر ناصر وتبريزه في نجاحه، وبره بوالديه، وبراءته من العيوب، ومحافظته على الصلوات، مع سماحة وعدم عناد، ولا يهمل المشورة، ويستفهم دون أن ينفعل، ثم يذكر نعمة الله عليهم وكيف بدل عسرهم بيسر.

وفي القصيدة التي عنوانها : (قصة وقصيدة)، وكتبت في عام ١٤٠٤هـ، يقول مبدياً النصيحة ومعلناً عنها أنها كذلك :

« نفّذ نصائح مخلص لك وربّاك

بجهده وجرّب حلوها والمرارا

يا ناصر اسمعني عسى الحظ واياك
احذر قرين السوء خراب الديارا
بل أبعد عن المشبوه فمثلك وشرواك
قدوه ومثل الجوهر إن عيب بارا »

ثم يؤكد أن صحبة الخائب مثل ملامسة الأجرب تعدي بالداء، وتدمر الحياة، ثم يؤكد عليه أن يبر بأهله، وإن لم يفعل خاب وخسر، ثم يحثه على صلة الرحم، واللحمة مع أبناء عمه وإخوته فهم يده اليمنى، ويرثي لمن لا عصبة له، وينبهه إلى أن اليد اليسرى إذا ما تدافع عن اليمنى ذل صاحبها وامتهن. وحثه على تحمل خطأ القريب، وهذا علامة أنه ابن أصل، وعلى

تحمل مـا يأتي من الجـار اقتـداء بالـرسـول صلى الله عليـه وسلم ومن يتحـمل يشرق صيته ويغرب بالقول الحميد. وحذره من جملة ما حذره منه شرب الخمر ففيه الذل والموت، ومن شـرب الدخـان فـهو الـطريق إلى جلطات الدم، حسب ما يؤكده الأطباء ويحـمـد الله على أن ابنه بعـيـد عن كل ذلك، ولـكن مـا قـالـه مـا هو إلا زيـادة في الحذر.

وهو سعيد بأن ابنه ممدوح، ويريد منه أن يطور أسـبـاب المدح هذه، ويحـثـه على المحافظة على أركان الإسلام، وعلى إخـراج الزكـاة، وبذل الصـدقـة، يغنم رضى الله،

وهذه الدنيا سرعان ما تفنى.

ثم يعود ويحثه على رد الجميل أضعاف ما جاءه منه، وعلى إكرام الزوجة، وعلى حسن معاملة من يحبه، ويغض البصر عن أخطائه، ويحثه على التسامح، والصد عمن لا يستحق أن يلتفت إليه من المؤذين ، فالصد عن المؤذي وإهماله يكويه بنار الصد. ويحثه على وزن القول قبل التفوه به، فكم من كلمة قالت لصاحبها : دعني.

وتتوالى النصائح وهي كثيرة، والقصيدة طويلة، والمتعة في قراءتها : في وزنها وقافيتها، والتمعن فيما جاء فيها،

ولهذا سوف اكتفي بما اقتبسته منها.

وقصيد أبي إبراهيم كل واحدة تحتاج إلى دراسة، ففيها ما يمكن أن يخرج به من حكم ومن حصيلة تجارب، ومنها ما يمكن أن يوصل إلى عمق فكره، وإلى ذهنه، وكيف يعمل، وكل منها له طابعه الذي لا يغيب عن ذهن القارىء المتمعن، ففكره له منهج لم يتخل عنه في أي قصيدة من قصائده، ومهما استطرد، وأبعد به الفكر تجده يعود إلى ما يسكن فؤاده، ومن الأمور التي يمكن أن يقف عندها الدارس صلته بأبنائه وأحفاده، وذكرهم بالاسم واحداً واحداً، وذكر صفة كل واحد منهم،

وتقـويمه لهـم. هذا الـديوان يأخـذ القـارىء إلى أعـماق محـيط الشـاعر، ويرى ما فـيـه من مكنـون.

أمـا عن شـعـره فـهـو عـفـوي، توحـيـه السـاعـة، ويأتي به الظرف، يستثير شعوره أمر فيسكب صافي فكره فيه شعراً، ولهذا فقصائده سجل لما مرّ بذهنه من صور، وما دغـدغ صـدره من عـواطف: صلتـه بـأهله، صلتـه بحـكامـه، صلتـه بأقـاربه، صلتـه بأصـدقـائه، شعوره في السفر، شعوره في الإقامة، شعوره وقت الشدة، شعوره وقت الرخاء.

ولابد أنه حـفظ في صـغـره، ومـقـتـبل

عمره، شعراً كثيراً أوجد عنده هذه الملكة، التي عاضدها شجاعة في قول الشعر ساعده على أن يمهد له طريقه فيه، وزمنه كان زمن سمر وأشعار، وكان يُروى في مجالس السمر قصائد فحول الشعراء النبطيين، وما حفظ في زمن الصغر له تأثيره العجيب، مع سهولة في الحفظ تعطي الملكة لمن عنده استعداد أن يقول الشعر، وصاحب الحظ في هذا المجال من يواظب ولا يتوانى.

وقد حرص على أن تكون روح شعره هي الروح المقبولة من شعراء النبط، وذلك بالمحافظة على ما يعدونه من الأسس التي

لابد من التقيد بها. من ذلك بدؤه بعض القصائد بقوله:

« البارحة يوم إِن كل تهنا
كل غفت عينه بجنب الحبيبات »

والبدء بكلمة (البارحة) أمر معروف، ودائماً توحي بالشجن من السهر، أو السعادة من لقيا الحبيب في ضوء القمر.

ويبدو أن المغيب والليل فيه وحي للشعراء، ففي قصيدة (المثناة) يقول :

« مع غيبة الشمس بالمثناه
شمس بدت لي تضاهيها »

وفي القصيدة التي عنوانها: (ليلة

الجمعة بعاشر من صفر) ، يقول :

« ليلة الجمعة بعاشر من صفر

سافروا (بمظل) واحد وأربعين »

وهناك بدء اشتهر الشعراء به ، وأبو إبراهيم من جملتهم ، وهو الأمر على الراوية أن يستعد بالقلم والقرطاس ، ليكتب ما يمليه الشاعر عليه من أشجان وأحاسيس ، يقول في القصيدة التي عنوانها : (قصة وقصيدة) مستهلاً القصيدة :

« هات القلم والبوك واكتب بيمناك

دمتم بعز وصحة وازدهارا »

وهذا البدء يذكر ببدء سليمان بن

عبيد (راع الداخلة) قصيدته (الدامغة) المشهورة:

« دن القلم والسجلة
واكتب يا صاحي باسم الله
وخذ بالمعنى واجزم واكتب
عقب البسملة حمد الله »

وأبو إبراهيم في القصيدة التي عنوانها: (هات اليراع وآلة التسجيل) يبدأ قصيدته بالبيت الآتي:

« هات اليراع وآلة التسجيل
أو بالتلكس أسرع وفصّله تفصيل »

غلبت عليه الوسائل الحديثة، لأن اليراع وآلة التسجيل، رغم جدتها، لا تلبي

طلبه للسرعة، فأدخل وسيلة تقوم بذلك .

ومن الأمور التي حافظ فيها على الصورة المعتادة في شعر النبط الأعداد، سواء في ختام القصائد عند الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك ولأنه يقصد على كثرة العدد حتى يكثر الأجر، فهو يعمد إلى بيئته ويأخذ منها ما يتلاءم مع الوزن والقافية، ففي أول قصيدة له، وهي التي عنوانها : (البارحة يوم كل تهنّا)، يقول في ختامها عند الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

« وصلاة ربي عد ما الورق غنى
وأعداد من صلى وقال التحيات »

الورق عددها كبير ، وكذلك المصلين

وفي القصيدة الموسومة (ليلة الجمعة بعاشر من صفر) يختمها بهذا البيت :

« وصلاة ربي عد حبات المطر
على النبي والآل والصحب أجمعين »

وحبات المطر من بيئته ، وهي كثيرة، وتمشي مع قافية الشطر الأول :

وفي القصيدة (صد ونفر) يختمها بالبيت الآتي :

« وصلاة ربي عد ما هب نسناس
على النبي وعد الحجر والرمالا »

ويختم قصيدة بالصلاة (عد ما يمشون) و(عد الحصى والرمال)، وأخرى

يختمها بقوله: و(عد ما يذر بذرا) و (إعداد ما نطق إنسان) وفي أخرى (عد ما ناح قمري) وفي أخرى: (عد ما أورق الراك) و (عد الرمل والنبت وأيضاً الحجارا) وفي أخرى (عد ما حي أنشد).وفي أخرى: (ما هل مسكوب) و (وعد الرمل واعداد ما طاف من طاف) وفي أخرى: (وعد ما بارق لاح) وفي قصيدة أخرى يقول: (ما أدرج الحبيب) و(عد رمل بالمسيل) و (إعداد قطر من سماه)، و(عد ما لبى الحجيج) و (أعداد من وطى الحصاة) و (عد رمل في زبارة) و (إعداد من شاف الغدير) و (عد ما تُقرا

التحيات) و (وعد الرمل ما بين حايل وثول). و (عد رمل بالاطعاس)، و (أعداد ما عد من عاد). و (عد ما صيح الديك)، و (أعداد ذكر المصلين) و (ما قيل يا الله). و (أعداد ما أزهر وأثمر شجرها).

هذه نماذج، وهي تستحق أن تدرس دراسة وافية في ضوء بيئة الشاعر وثقافته الدينية.

ومن الأمور التي لوحظ أنه يدخل فيها العدد أمور تأتي في أثناء القصائد، ومن أمثلة ذلك:

يقول في القصيدة التي عنوانها:

(حمداً لمولاي الذي أسبل النعم) في البيت الثاني منها:

« وشكراً لربي ما ورد النسم
من الخلق ذو روح وما ردد الكلم
وما اخضر غرس واجتنى من ثماره
وعد الرمل وعد ما خط القلم

وفي قصيدة (عمل وكفاح) يقول:

« والحمد لله وألف مليار شكراً
على فضائله العديدة والإحسان »

وفي القصيدة (شميت روح العود) وفي ثاني بيت منها يأتي بعدد في الترحيب، ويقول:

« يا مرحباً به عد ما فارس كد
وأعداد ما شدوا على الزمل ورّاد

ويا مرحباً به عد ما نازل شد

وأعداد من مدّوا على الهجن للزاد

ويا مرحباً به كثر ما حاسب عد

حيثه برد نار لهبها علي زاد»

وهكذا ترد هذه الصور وما فيها من عد، وما أوردته ما هو إلا نماذج قليلة محدودة.

ويلاحظ في هذه الأبيات تأثير البيئة التي عاشها في صغره على ذهنه، فقد ركب الإبل، فهو يغرف من بحر سبق أن سبح فيه، وأجاد السباحة. والبيئة القديمة والجديدة تمدانه بالمفردات والصور، ونجد الذيبة والخلوج، وغزال،

وظبي، وفلوة، وريم، والظليم، والخشف، والرمل. ومن الحديث المعرب يأتي بكلمة (مظل) بمعنى موديل وصفا للسيارة، ومن تأثير بيئة مكة يقول: (وأنت سيد العارفين). ومن الكلمات المعربة: فدلر وفرقون، وكابتن وجرسون، وبهلوان، وشيك وقراف، وقنبازي، وقشار، والمكياج، والبرمجة، والكمبيوتر، والبزنس، وميني جوب، وخوب.

ومما يلاحظ في سيره على منوال شعراء النبط في عصره صيغة دعائه على من شكك في كلامه، أو لامه في محبته لمحبوبه:

« واعسى من لامني يغشاه جني
طول عمره مبتليه وبهلواني
وجعل من يزهد بخله ما يثني
يبتليــه الله يشــوفه والأذانِ »
ويرد على مُلاَّمِه بقولـه :
« لا هوب لحاح ولا هوب يخطي
ومن لامني جعله كفيف يوالا »
وفي أخرى يقول :
« من لامني جعله عليل ومقعد
ولا يلايم دوم غضات الأنهاد »
ويقول كذلك :
« من لامنــي جعــله السلال
وكـل يذمــه ويـهبـي بـه »

ومما هو ملاحظ أيضاً في السير على الجادة التي يسير عليها شعراء النبط تفضيله نصب قافية البيت، والحرص على ذلك، وهي ظاهرة تدعو إلى التساؤل لماذا النصب دون غيره، حتى لو أدى هذا إلى غموض المعنى، فمثلاً في قصيدته التي عنوانها: (صد ونفر)، يقول:

« صد ونفر عنق المها ظبي مدراس

من يوم كلمته بشي حلالا »

وهذا مطلع القصيدة، وكان بإمكانه أن يقول: (حلالي) مما اضطره في أحد أبيات القصيدة أن يقول: (إلاّ لا) بدلاً من الآلة، وهي الآلة الكاتبة. وفي بيت آخر:

لالي لالا ، (يكثرون الفشالا) وقد يأتي بسبب ذلك غموض، كما في هذا البيت :

« يلّي شوفك منظر الزين لا باس

ميرا نتبه للعاقبة لا تحالا »

فتحالا قد لا يتفق القراء على معناها ، وقد يقول بعض العارفين بالأشعار إِن هذا مما يجعل للشعر قيمة، فالغموض يوجب الوقوف والتمعن، وهذا الأمر قد سيطر على شعراء النبط.

ويكاد حرف اللام إِذا جاء قافية أن يغري الشاعر بالنصب ، وهناك قصيدة أخرى قافيتها لام، وهي التي بعنوان : (وفاء وإِخلاص) :

« سلامتك يا شمعة البيت والحي

سلامتك لا باس يا أم العيالا »

أما قصيدة (قصة وقصيدة) فقافيتها الراء ، ولكن الشاعر اختار النصب ، مع إن بإمكانه أن يختار الكسر ، أو التسكين ، ولكن للنصب رنة في الآذان :

« هات القلم والبوك واكتب بيمناك

دمتم بعز وصحة وازدهارا »

فيضطر أن يجعل (خسارة) (خسارا) وكلمة : (ويتثارا) فيها إبهام ، وقد لا يفهم منها المعنى المقصود ، وكلمة (الإدارة) صارت (الإدارا) ، و (صحتك دارها) صارت (دارا) ، و(خسارة) صارت

(خسارا) ، و (الإشارة) : (الإشارا) و (شارة) صارت (شارا) .

وفي قصيدة : (يا الله عسى خير وتساهيل) يعود للام المنصوبة فيقول في مطلعها :

« يا الله عسى خير وتساهيل وأفراح

أنت المدبر المعبود ياذا الجلالا »

يمكن أن يقال عنها ما قيل عن سابقاتها في عدم وجوب النصب ، إلا أن الشاعر اختاره لأن عادة الشعراء اقتضت ذلك ، ولأن له نغمة خاصة في آذانهم ، وفيه جاذبية لا تقاوم خاصة إذا (شيلت) القصيدة .

والشاعر عبد الله بن عبدالرحمن العرفج اختـار النصب في قصيدته التي في الديوان، عنوانها: (ليتني ما رحت يم اسكند يده)، ولكنه محق لأن موقعها النصب:

« ليتني ما رحت يم اسكند يده

ليتني ما شفت ليله والنهارا »

هذه بعض ظواهر يرى المتمعن في الديوان أنها بارزة، وأنها تتكرر، ولاختلاف الصور التي تأتي بها فهي تستحق الدراسة في هذا الديوان، وفي غيره من دواوين شعراء النبط، مع ردها إلى أصلها، وبدئها.

وحياته في مكة أمدته ببعض الكلمات والصور لتسعفه عند الحاجة إلى القافية، والأمثلة متعددة في قصائده، ومن هذه النماذج كلمة (المدريها)، وهي لعبة للأطفال في أيام العيد، يتمرجحون بها :

« يورنّه القيظ بالشتوات

ويلعبن به مداريها »

وبقاؤه في مكة ومجيء الحجاج من أقطار العالم ، وتسلل بعض كلماتهم إلى المتعاملين معهم، جعلت بعض الألفاظ مألوفة، مثل كلمة (خوب) أو (خيلي خوب)، في اللغة الفارسية، وقد أخذت مكانها براحة تامة في قافية أحد أبيات قصيدته التي عنوانها : (يفدا حبيبي..)

يقول فيـه :

«صبور على الزلات والطيش والضنا
عجوب لعوب وكل شغله (خوب)»

ولا غرو فعمه ساكن مكة ، وتأثر قبله بلهجة مكة، وقد روى عنه توجيها جاء صادقاً لما يقوله رجل كبير لشاب صغير له عليه داله، يقول في بيت من قصيدته (موجهة للبنت الوفية الذكية) :

« يا (واد) فتح عيونك وانتبه دومات
قا له لي العم مرات وشدّ عليّه »

وتطل كلمة (خوب) مرة أخرى، فيقول من قصيدته (أدعج العينين) :

« هنيئاً لأزواج كذا حبهم (خوب)
ولا ضيعوا أعمارهم بإيه واخلافي »

والديوان مليء بالنصائح لأبنائه، ولكنه أحياناً يخرج من دائرة الأسرة إلى دائرة أعم وأوسع، فيأتي بالحكم والنصائح نافعة لكل من وفقه الله لتدبرها، والسير في هديها، وهي نتيجة تجربة طويلة، يقول في إحدى هذه المخاطبات المفصلة في قصيدته: (شميت ريح العود)، وهي وإن كانت موجهة لأسرته وأحبابه، إلا أن فحواها عامة لكل المتبصرين:

« قد قلت في الماضي قصيد وأردد

تزيد عندي زين وإخلاص وأمجاد

إلى شفت غيرك فاشل ويتمرد

ويضحي الضحى نايم ويطلب له الزاد

خل المجامل والحيا والتردد

قد أفلحوا من زكوا وصاروا أجواد

واضبط وراقب واحذر اللي يهدهد

ترى النجاح بضبط الأعمال يا أستاد

ازرع ونقّ الزرع من شان تحصد

مثل الذي حصن خيامه بالأوتاد

لا تتكل تندم ولياك ترقد

تصبر ضحكة دوم للحضر والباد

اقنع بما تضبط ولا أقول ازهد

ترتاح إن رزته ويتعبك إن زاد

واحذر وحذّر وانتبه جد في جد

عن المغامر والمقامر والأضداد

واحفظ كلام اللي تعلعل وكد

هذي نصيحة مخلص لك ورداد »

هذه عجالة كتبتها وأنا اتمتع بقراءة الديوان، وهو يمثل فكر أبي إبراهيم، وسجل حافل بأحداث حياته، وما مر به مما هو مصدر حث للشباب للاقتداء بالرجال العاملين الجادين، الذين نذروا أن يخدموا بنجاح أنفسهم، ومن وراء ذلك بلادهم، وهذا الديوان بالتفصيل الذي هو عليه، والترتيب الذي اتسم به، يعطي صورة صادقة عن حقبة من حقب سيرنا الحضاري، ويُري جهود فرد يمثل مجتمعا، كدّ وكدح، ولم يترك الزمن في نفسه ندوباً، بل بقيت نفسه صافية خيرة، تسارع للخير وتحث عليه، إشعاعها عم

الزوجة وقبلها الوالدة، والأخ والأبناء والبنات والأصدقاء والأصحاب والجيران، مع وطنية لم تهتز، وإخلاص للتربة التي درج عليها.

قتصرتُ على ما تكلمت عنه ، ولم أتحدث عن روح أبي إبراهيم المرحة، ومداعباته وفكاهاته، ولا نظرة التفاؤل التي شع نورها في سطوره، ولم أتطرق لأسفاره ومراميها، وما حدث فيها، واختياره رفقة السفر، وانتقاء البلدان، ولم أركز على ما ورد من أبيات تصف شظف العيش الذي مرّ به، والعسر الذي عصره، ولا كيف أبدله الله بيسر، ولا عن اللحمة

بينه ووطنه، ولا عن حرصه على اقتباس آيات من القرآن، أو نصوص من السنة، دليلا على ما يدعو إليه، ويحث أبناءه وأحباءه عليه. وثقافته العامة تحتاج إلى بحث ضاف، وشرح واف، ولم أتعرض لذلك، لأن دراسة هذا تحتاج إلى تأن وتفصيل، فالقصص ذات العبر في القرآن والسنة يشع نورها في بعض أبياته. وفي الديوان أمثال وبعض صيغ أنواع البديع تستحق أن يقف قارىء الديوان عندها، ونظرته للتعليم تستحق وقفة غير قصيرة، فهو قد ذاق طعمه، ولكن ظروف الحياة، وطلب المعيشة، وشعوره بالمسؤولية تجاه

والدته وأخيه، حرمه من أن يعب من غيره، ولهذا وفر لأبنائه ظروف التعليم، ورأى فيهم ما كان يود أن يرى في نفسه، وقال في قصيدته التي عنوانها: (قصة وقصيدة):

« افهم كلامي جعلك أحسن
وما ندم من دعا واستخارا »

وكان بودي كذلك أن ألقي نظرة فاحصة على شعر (المراد) و (الإهداءات) إلا أن خوفي من أن يمل القارىء جعلني أتركها له، هي وما لم أفصل فيه، أو استقصي أمثلته، ليكون حراً فيما يخرج به منه.

وقـــبل أن أرفـع سن الـقـلـم أود أن أشـــيـــد بالمقدمـة التي كتبـتـهـا أم الوليـد، فـهي على قصرها وافية، ومركزة، وأحاطت بجوانب الموضوع، ملقـيـة إشـعـاعـاً كـاشـفـا لما حـواه الديوان، مع مـسـحـة مـفـيـدة عن شـخص الشاعر وحياته وصلاته.

و (الـســمــوحــة) كلمــة وردت عــدة مرات في شعره، فليسمح لي أن أستعيرها هنا وأقول للقارىء (السموحة) إن كنت أطلت، فـمن أكـــتـب عنه وعن شـــعـــره (عملاق).

وصلى الله على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

مقدمة لكتاب
« هؤلاء... مروا على جسر حياتي » (١)

يعـد المؤرخ أن ثروة المعلومـات عن حوادث التاريخ هي في الكتب التي تؤرخ لأمة ، أو حقبة من الزمن ، ولكنه يبتهج عندما يجد مصدر تاريخ يتحدث عن شخصٍ بعينه ، وتزيد بهجته عندما يعرف أن كاتب السيرة معاصر لمن يكتب عنه ، ويزيد فرحه ، إلى حد الطرب ، عندما يعرف أن الكاتب ليس له غرض ، ولا يرجو نفعا ، أو يخشى ضراً ، ممن كتب

---

(١) تأليف الأستاذ علوي طه الصافي ، كتبت المقدمة في ٢٩/٣/١٤٢٥هـ .

عنه، وليس هناك من الصلة ما يجعل بعض ما يقوله محرجا أو مغضبا ، وإنما يكتب هذا الكاتب وفي ذهنه قول الحقيقة بطريقة هادئة ويلبسها ثوب اللياقة واللباقة بدلا من التهجم أو الاستفزاز ، وهو منهج صعب ، ومسلك وعر إلا لمن وهبه الله قدرة على السير على الأشواك ، أو بين الورود دون أن يفرط نظمها ، أو يُخل بعقدها .

ولهذا عندما يأتي كاتب معروف ، مشهود له بحسن النهج ، واستقامة السبيل ، وطواعية الفكر ، وخضوع القلم، والمقدرة على المشاركة الفكرية دون

شذوذ ولا نبوّ ، يرحب بانتاجه ، لأنه سوف يكون محسنا في أسلوبه ، قادراً على عرض أفكاره ، لَدِناً في معالجة ما قد يكون عسيراً ، ويكون متقنا ، بفن ، لبسط ما في ذهنه للقارئ ، بما يجعله هو والقارئ في موقف واحد في الفهم ، ورسم الصور المراد عرضها ، وإزجاء بضاعتها .

وهكذا كانت فرحتي من كتابة الأخ الأستاذ علوي طه الصافي عن بعض الأشخاص ، الذين وجد أن حياتهم مهمة ، لمشاركتهم في مجال من مجالات النهضة الفكرية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، ووجد أن له فرصة يعبر فيها عن بعض

الأفكار التي يرى إبدائها .

لقد كانت هذه السير ذات طابع متميز لما أخذته على عاتقها من تجنب السرد الساذج ، والحقائق الجافة ، وجعلها ناطقة بلسان ذرب ، وغاص لكنهها إلى الأعماق ، فجاءت بما لا يأتي إلا من شخص متميز ، وضع مبادئ تبناها ، وسار في ضوئها ، راسماً صوراً مشرقة لأناس أضاؤا محيطهم بطريقة مبتكرة أفادت ونفعت .

إن كتابة السير فن ليس كل إنسان يجيده ، ولكل كاتبِ سيرةٍ طريقةٌ تحكمه ، وينفرد بها ، قد تكون فيها جاذبية تجعلها قدوة تحتذى ، ونموذجا يفتح بابا فريداً في

كتابة السير . ولا يتأتى مثل هذا الإبداع إلا عندما يكون الكاتب صاحب فكر ناضج ، درس الأمر بشمول تام ، ثم ابتدع لنفسه جادة واضحة ، تُوصل فكره إلى القارئ ، وتبني جسوراً من التفاهم ، وتؤثر الأثر المطلوب .

لقد شعرت بهذا وأنا أقرأ مقالات الأخ الأستاذ علوي طه الصافي في « المجلة الثقافية » التي تصدر مع صحيفة الجزيرة كل يوم إثنين ، تحت العين البصيرة لمدير تحريرها الأستاذ ابراهيم بن عبدالرحمن التركي . وكنت ، وأنا أقرأ ما يمر على الجسر الذي مده الأستاذ علوي لا أقف عند

مجرى الحوادث فيما دوّنه ، ولكني أسبح إلى أغوار فكره ، والمسارب التي يمر بها طرح ذهنه ، والبؤر التي يستقي منها ، وهذا يوصلني إلى أمور قد لا يصل إليها كل إنسان ، وقد يصل غيري إلى ما هو أعمق ، وتمعني فيما يكتب يذهب إلى المعنى ، والمنهج ، والخطط ، والأسلوب ، وأسير رأساً مع الجادة المستقيمة ، وأتبع المنحنيات ، التي يأتي بها الكاتب فجأة وكأنه يقصد أن يخرجك من رتابة الحدث إلى ما أخفاه تحت تعبير أو صورة ، وهي هزة ذكية توقظك إلى ما هو آت ، وإلى ما هو مهم في رأي كاتبه ، ويخرجك بهذا

مرغما من غلبة الرواية عليك ، وانسجامك معها ، مما يجعلك تنساق ذاهلا ، وتنسى أن ما أمامك ليس ما اعتدت أن تجده في السير ، ويؤكد من طرف خفي أن ما تقرأه ليس للتسلية ، ولكن لتعمل طواحين ذهنك على هضمه ، مع استعداد كاف لهذا .

دأب المؤلف ، زيادة في الفائدة ، على إثراء مؤلفه ببعض الصور الذهنية الصادقة عن قضايا إنسانية رأى أنها تستحق أن ترسم منيرة الجوانب التي تطرقت لها ، وعن قضايا اجتماعية باهرة عن مجتمعنا الحاضر ، وما فيه من ظواهر تستحق أن

تبرز لتلاحظ ، وأن تعطى حقها من الرعاية من أفراد المجتمع أو بعض فئاته . ولم يهمل المؤلف القضايا الفكرية والأدبية ، وهي هاجس من هواجسه الأولى ، وهو خير من يلبس ثياب الغوص ليصل إلى دررها في أعماق بحارها . والأمور الثقافية عموما بَزَّرت مقالاته بما هو شهي ومفيد ، ولم يكن هناك تكلف ، ولا طرح مفتعل .

الكتاب ضخم ، ولهذا سوف أقتصر على هذه الكلمات المقتضبة عن هذا السفر الثمين ، وأنا متأكد أن القارئ الكريم سوف يجد متعة في قراءته مجموعاً ، بعد أن قرأه مفرقا في مقالات

متتالية .

إني أحمد ، دائماً ، لأصحاب المقالات في المجلات والصحف ، وفي أعمدتها ، جمعها في كتاب ، لتأخذ مكانها في رف مكتبتنا العربية ، وليسهل الرجوع إليها ، والاستفادة الكاملة منها .

وفق الله المؤلف إلى المزيد من الإنتاج ، وأخذ بيده ، إنه جواد كريم .

مقدمة كتاب
« ذكريات وخواطر » (١)

هذا كتاب في نظري ، قيّم ، مليء بالصور المفيدة ، الواضحة فيما تمثله من حياة فرد عاش في القرن الهجري المنصرم، تمثل حياة الطالب ، المتشوق إلى العلم ، ينظر إليه من بعيد ، ثم يقترب منه ، وينهل منه بمقدار ، ظروف أسرته ، وحكم عصره ، لا يُتاح له أن يوغل في العلم ، فتبقى هذه الرغبة مسيطرة عليه ، لم يتخلص منها ، ويسلك طريقا جانبيا

---

(١) للأستاذ ابراهيم محمد الحسون : ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

يعوض به عما لم يأخذه بانتظام ، فيرضى عن سيره ، ونتائج جهده ، وليس له إلا أن يرضى .

صورة أخرى ، صورة صغيرٍ ، لا تنقصه الشجاعة، ولا تعوزه الجرأة ، مع إقدام فيه بعض المجازفة أحيانا ، يفيده كل ذلك في مواقف ، بعضها فتح له الطريق . رافقته بعض هذه الصفات ، وكبرت معه ، وجاءته بمواقف حمدها ، ومواقف عانى منها .

صورة أخرى ، صورة ذاك الطفل الذي جاء من نجد ، وهي حينئذ بعيدة عما يُعد في الحجاز مستوى حضارياً ، قصر عنه هذا

الطفل، فقابل الفرق في الأكل والشرب ، وفي اللباس ، وفي الحديث واللغة ، ركبته الدهشة من كل ما يرى ، ومن كل ما يسمع ، كل شيء يحتاج إلى معرفة وهضم ، ومهادنة . جاء من بيت طين إلى بيت بُني من الحجر ، جاء من مدينةٍ الماء فيها يجلب بالقرب ، ويبرد فيها ، إلى مدينةٍ الماء فيها في الزير والشراب والدوارق ، جاء من مدينة ركوبها الجمال والحمير إلى مدينة استقبلت السيارات ، كان كساؤه ساذجا ، فأصبح معقداً، في قماشه وفي تفصيله ، وفي لبسه ، جاء من بلد أشباه وجوههم متقاربة ، إلى بلد فيها

كل الأشباه ، بلد عالمية . لم يكن يعرف أن هناك لغة غير العربية ، فوجد الحج يغص باللغات .

صورة أخرى في هذه المذكرات ، صورة أولى خطوات التعليم ، والجهود المبذولة فيه ، واهتمام الملك عبدالعزيز به ، واستفادته من النواة القائمة حينئذ ، واستغلالها أكمل استغلال، وبقاؤه بجانب التعليم ، يرفده ويشجعه ، ويعممه ، وينوع فيه ، والعقبات التي قابلها ، والطرق التي تغلب بها عليها ، جهوده في حماية البلاد من ويلات الحرب العالمية الثانية، ومّما رافقها من شح في

الوارد ، ومعاناة في الغذاء والكساء .

صورة أخرى عن الأمن واستتبابه ، وبعض الوقائع الحية ، التي تمثل بعض الجوانب التي أوصلت إلى ما أوصلت إليه من الاستقرار ، في المدن والقرى والسبل .

صورة أخرى عن الوظائف والموظفين، وما كانت عليه الأمور في أول سنوات توحيد المملكة ، رسم الكاتب فيه صوراً حية ، تُري مدى الكفاية في إنجاز الأعمال من أقل عدد ممكن من العاملين ، وتتبّع ، ممثلا بنفسه ، التطور الذي تلا ذلك ، من زيادة في نطاق العمل ، وانتشار الأقسام ، وإنشاء دوائر جديدة . وتأثير البترول

والثروة المعدنية على القدرة على تطوير البلاد ، حسب متطلبات تلك الحقب ، بعضها تالٍ بعضا .

رسم صوراً قد لا يسهل على أحدنا تصورها ، أو حتى العلم بها ، مثل حريق بئر الظهران ، في وقت أشد ما يكون البترول محتاجا أن يكون بعيداً عن الهزات . كان الوصف ممتعا ، وكان دقيقا، دخل في أضيق سَمِّ الأمور الفنية . هذا وغيره مما جاء مبثوثا في ثنايا الكتاب.

لقد سجل بعين الصقر أماكن في عنيزة، وفي جدة ، وفي الظهران ، وفي أم رضمه ، وفي الحفر ، ووصفها بدقة ، سواء

كانت قائمة مكتملة في وضعها مثل عنيزة وجدة ، أو حديثة بدأت من نواة عاصرها مثل الظهران والخبر وأم رضمه والحفر . لم يبق إلا القليل في عنيزة وجدة مما كان قائما . سوف يجد من يحتاج إلى هذه المعالم فائدة جلى فيما حدد . بدقة وإسهاب ، عن البيوت ، وتجاورها ، وشوارعها ، والمرافق المختلفة من مساجد ، ودكاكين ، ومواقف دواب ، ومراكز للمياه .

لقد وصف الصهاريج وصفا دقيقا ، لم أره ورد في كتاب بمثل هذه الدقة : في الحجم ، وما يتحمله ، وكيف يستفاد منه ،

وقياسات الاستهلاك ، وصلة الأمطار بهذا، والفوائد المادية التي تجنى من ذلك، والمستفيدون من هذه الصهاريج، ومن يستفيد منهم ، وآلة الحركة عموما في هذا الصدد . وهذا يعطي فكرة مدهشة عن معالجة الناس حينئذ لأمور الحياة ، حسب الحاجة ، والمقدرة .

الكتاب تاريخ أفراد ، وتاريخ حقبة ، وتاريخ مدن ، وسجل نهضة ، وتوحيد مملكة ، وسجل صور لابد من استيعابها لمن يريد أن يعرف الأسس التي بنينا عليها ما نتمتع به الآن من نمو وتطور .

الكتاب صفحة واضحة للمقارنة لما

كـان ومـا نحن عليـه ، تقـاس عن طريقـه الخطوة وبعدها وطولها ، وما كان وراء هذا البناء من بناء قديم اختفى ، آثارٌ تلوح اليوم في مدننا مثل الوشم في ظاهر اليد .

مسيرة التعليم في منطقة الجوف
مقدمة (١)

هذا كتاب ضاف ، وسجل متكامل ، يؤرخ بجدارة ، ويوثِّق بإتقان ، مسيرة التعليم في هذه المنطقة العزيزة علينا ، وهي منطقة جميلة ، ذات تاريخ عريق ، تدل عليه آثارها . سكنها أناس عرفوا قدرها ، واستفادوا من طقسها وتضاريسها ، ووجدوا فيها ما نجده اليوم فيها من جاذبية في تنوع التضاريس ، وفي

---

(١) كتبت في ٢ / ٧ / ١٤٢٧هـ مقدمة لكتاب : «مسيرة التعليم في منطقة الجوف» للأستاذ إبراهيم بن خليف بن مسلم السطام .

سماحة أهلها، وحسن خلقهم ، وكرمهم، وما أثبتوه من أصالة في مكافحة الحياة أيام شظف العيش، وقلة الوجد ، وضعف الأمن إلى أن قيض الله لهم مع غيرهم من المناطق ما جعل الحياة تبتسم، رغدا وأمنا ، والتفاتا وعناية .

الأستاذ ابراهيم (أبو خالد) رجل عاصر التعليم منذ أن كانت شمسه تطل على استحياء من وراء الأفق، في الكتاتيب، وفي الدور ، وعلى أيدي محتسبين ، جزاهم الله خيراً . ونمى الأستاذ ابراهيم مع التعليم خطوة خطوة ، عاش كل دقيقة فيها ، وعانى كل صعوبة

تقابل التعليم في مناطق بيت الطين فيها يُعدُّ ترفا ، وإلا فالخيمة والشراع هي الظل الظليل من الحر والقر .

رأى بذرة التعليم النظامي تزرع ، ورآها تسقى بجهد وعرق ، ورأى نموها يوما بيوم ، وشهراً بشهر ، وسنة بسنة : أولا بفتح الفصول المتواضعة ، وتعيين المدرسين، ثم فتح فصل بعد فصل ، ثم الاحتيال والتغلب على نقص الفصول ، ونقص المدرسين . ثم رصد رصدا أمينا موقف الناس من التعليم ، وأعطى صورا ٍ بديعة لذلك المجتمع الأصيل وهو يرى نور المعرفة يشع بين أرجائه .

ورأى متطلبات التعليم من مرافق وإدارة وغيرهما تزحف تدريجا لتعضد الدراسة ، ولتساهم في إتقان حركة المسيرة ، فمن تفتيش طارئ إلى تفتيش ثابت ، ومن توجيه من بعيد إلى توجيه من قريب ، إلى دراسة وتقويم من مسؤولين لما يحتاجه المحيط البعيد عن مراكز التجمع ، ومن زرع فصول بين الخيام ، إلى دفع بالعجلة إلى ما هو أكثر إتقانا ، وأجدى عملا ، وأكثر فائدة ، جاءت بهذا الامكانات المالية نتيجة ظهور البترول .

يمتاز المؤلف أنه من أهل المنطقة ، يعرف داخلها ، ويشعر بشعور أهلها ،

ويعيش معهم في كل زاوية من زوايا الحياة، فهو فيما يصف لا يقول شيئاً ضحلا ، يلتقطه خطفا من السطح، ولكنه يغوص إلى أعماق ما يصف ، ويأتي بشيء لا يأتي به إلا هو ،أو من هو مثله . وليت كل من كان في مثل موقعه في المناطق الأخرى يتصدى بمثل ما تصدى له ، ويأتي بمثل ما أتى به، ولو تم هذا ما كان عندنا أزمة علم عن تاريخ التعليم في بعض المناطق ، ولا اكتملت الحلقات ، وتماسكت ، وأعطت فكرة متكاملة ، نبني عليها النمو والتطور ، ودفع العجلة إلى الأمام بجدارة وإتقان .

اتّبع المؤلف المنهج الوصفي ، وحسنا فعل ، فهو بهذا يرسم صوراً حقيقة ، تنقل القارئ من قارئ إلى مشاهد بسهولة ويسر ، يأخذ القارئ معه بيده ، ويسير به خطوة خطوة ، فما ينتهي من فصل إلا وكأنه هو الذي كتب ما قرأ . وهو بهذا المنهج لم يدع ثغرة في هذا العمل المتكامل، فقد وصف ما كان الأمر عليه أيام الكتاتيب ، وكأنه يصف أي منطقة في نجد ، ولكنه سرعان ما جاء بالجديد في هذه المنطقة ، ووضع إصبعه أمام نقطة تحول جاءت مع الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك – رحمه الله – الذي جاء

معه الإرهاص للتعليم المتوسع ، واختياره لطرق حببت الناس للعلم ، وهيأتهم لما سوف يأتي من تعليم منتظم ، أقبلوا إليه برغبة وترحيب ، وأرى كيف أن جهد رجل واحد مخلص ما هو إلا بذرة صالحة نبيلة في أرض خصبة متعطشة . وعلى هذا فتأثير هذا الشيخ بقي إلى اليوم ، وسيبقى إلى الأبد ، ألم يكن له تلاميذ نقلوا طريقته وهم يدرسون ، وبقيت هذه الطريقة إلى اليوم ، وأبرز ما فيها التفاني في نفع الطلاب ، وفعل الخير للناس ، والتطوع إلى بذل الجهد لصالح المجتمع . وقد قدر الملك عبدالعزيز لهذا الشيخ نيته

وجهده وعمله ، فأكرمه غاية الإكرام، وإكرامه فيه ، إن شاء الله أجر عميم ، وثواب جزل .

لقد أظهر الكتاب اهتمام المسؤولين بالتعليم، وعلى رأسهم الملك عبدالعزيز – رحمه الله – الذي أجلّ العلم ، وقدّر فائدة المتعلمين لبلادهم ، ولنهضتها ، فكان سحابة الخير لكل منطقة يطل عليها ، وقد أدرك – رحمه الله – الشيخ فيصل المبارك ، وهو العالم الموثوق به ، وقدر ما يقوم به ، فأبقاه في عمله ، يكمل ما بدأ ، ونعم البدء ، ونعم المنتهى . وإدارة المعارف العامة حينئذ كانت تبذل الجهد في حدود

طاقتها ، تبذل وتشجع ، وتقابل الصعوبات بصبر وأناة ، وسعة صدر ، وتسد الثغرات ، وتعطي الثقة ، حتى أنها في الجوف ، مثلما كانت تفعل في غيره ، عندما تنتهي فصول التعليم المتاحة تستفيد من خريجيها في بدء مدارس أولية. حتى تحسنت الإمكانات المالية ، وتحسنت أحوال المجتمع ، بعد أن منّ الله على المملكة بالخير من اكتشاف الزيت .

واستطاعت أن تستعين بمدرسين من الخارج، ولم يكن الأمر سهلا عليها ، ولا على هؤلاء المستقدمين الذين جاؤا من مدن متحضرة ، فيها كل الإمكانات من ماء

وكهرباء وصرف صحي ومواصلات مريحة منتظمة ، ومع هذا فقد بذلوا جهدهم في أن تكون مساهمتهم - رغم المعاناة - متناهية في المشاركة والإتقان .

هذا البحث القيم دل على أن عقل كاتبه منظّم ، فقد سار بنا في خط واسع ، أوصلنا إلى آخر مثله ، ثم إلى ثالث ورابع وخامس ، وفي كل مسير رئيس من هذه المسارات ، يأخذنا أحيانا يمينا أو يسارا ، لأن هناك روضة غناء ، تستحق أن تُرى ، وأن يُوقف عندها ، وأن يتمتع بما فيها من عناصر الحياة .

لقد قسم الأستاذ ابراهيم البحث إلى

خمسة أبواب ، وتحت كل باب فصول هي لحمة هذا الباب وسداه .

فالباب الأول جاء فيه تمهيد للتعريف بسمات منطقة الجوف المتميّزة ، وما في بيئتها من عناصر لابد من إبرازها ليبنى عليها البحث ، وليكون معبراً وواضحا ، لأن معرفة الملامح الجغرافية ، وتأثيرها على السكان ، وعلى الثروة الحيوانية ، وما في الأرض من ثروة معدنية ، له أهميته فيما بعد عندما يبدأ في التعمق في بحثه. وسرعان ما ولج في هذا الباب إلى بحثه الأصل وهو التعليم ، فتحدث عن بداية التعليم في عام: ١٣٦٢هـ إلى عام :

١٣٧٦هـ ، وهي السنة الأولى التي وُضعت فيها الركيزة الأولى للعلم الذي وضع الله فيه النفع ، وكان فيه الفتح لحقبة مضيئة كما سوف يُبين المؤلف .

وفي الباب الثاني تعمق المؤلف في أمور التعليم منذ بدئه إلى اليوم ، فوصف المسيرة بدقة وعناية ، وما طرأ عليه من انتشار وانداياح ، وما وصل إليه من مستوى ، وما توافر من أجهزة لخدمته ، ومرافق تساعده في سيره . والبحث يستحق القراءة بتمعن ، فهو الهيكل العظمي أولا ، ويرى فيه نمو اللحم النبيل، والشحم المبارك . ولا أريد أن أتكلم عما

فيه ، فإن أطلت خَرَجَتْ المقدمة عن حجمها ، وإن أقللت ظلمت هذا الباب مع أهميته ، ولهذا أحث القارئ على قراءته بتمعن ليعيش المتعة التي عشتُها .

والباب الثالث انصبّ ما فيه بحق على التعليم الجامعي ، ومراكز التعليم ، والكليات العلمية والتربوية ، والمعاهد ، فكانت نقلة حضارية باهرة ، وقد ساهمت هذه المعاهد بأنواعها في تخريج شباب من المنطقة خدموها حق الخدمة ، وثبتوا المواطنين ، وقللوا الهجرة منها ، وهذه فضيلة جُلَّى ، وهي إحدى مزايا التعليم ، وفوائد الإشعاع العلمي .

أما الباب الرابع ففيه رائحة زكية ، فيه رائحة الوفاء ، والإقرار بالفضل ، وذلك بالحديث عن الذين لهم مشاركة في التعليم ، وتفصيل ما بذلوه ، وما عانوه ، وتبيان من هم ، وكيف نشؤا ، وكيف تدرجوا ، ومن أين أتوا ، سواء منهم من زاول التدريس ، أو من ساهم في الإدارة بأنواعها المختلفة ، سواء كان ذلك في مدارس البنين أو مدارس البنات ، وسواء كانوا في التعليم المنتظم في النهار ، أو التعليم المكمل في الليل ، في فصول التقوية ، أو فصول محو الأمية ، سواء من كان منهم في التعليم العام أو في برامج

التعليم الخاص .

وهناك إضاءة مشعة ، تكشف جوانب عن المجتمع ونظرته لبعض الأمور ، وفي بعضها طرافة ، وتعد استراحة للقارئ في هذه الدراسة، يجد فيها متعة بعد المعلومات المتتالية عن التعليم، وهي لا تخرج عن التعليم ، ولكنها تعطي فكرة عن نظرة بعض الناس عن التعليم ، وفيها فائدة عظمى لا تأتي مناسبة تدوينها إلا في هذا المكان ، ويمكن وصفها بأنها مواقف وذكريات ومشاهد وطرائف وفوائد وصور.

أما الباب الخامس فهو مسك الختام ،

ومثل أي ختام ، دونت فيه الملاحق ، وما يدخل ضمن ذلك مما أشير إليه في البحث ، وفيه بيانات مفيدة ، وجداول تكمل صورة ما ذكر ، وفيه وصف للمقررات المدرسية ، وما طرأ عليها من تطور ، بعد البدء المتواضع .

وإذا كان الكتاب جاء عن التعليم وسيره ، وعن بدئه وتوسعه ، واندياح رقعته ، فإن القارئ سوف يجد أنه استفاد فائدة عظمى جانبية عن المدن الرئيسة مثل : سكاكا والقريات ودومة الجندل وطبرجل وقارا ، فقد وصفها المؤلف وصفا دقيقا ليعطي إطاراً لابد منه لدراسته هذه .

وقد تطرق المؤلف إلى تاريخ المنطقة البائد ، وما سجله علماء التاريخ وعلماء الآثار ، مما سوف يثري معلومات القارئ ، وقد جاء بمعلومات سوف يقرؤها بعض القراء لأول مرة، لأنه خدمهم في تدوين الثابت منها ، وسوف يدهشون ، مثل مملكة سبأ الذي تَرَجَّح أنها كانت من الملكات التي حكمت في منطقة الجوف لا اليمن .

الخطة التي اختطها المؤلف هيكلا لكتابه جاءت من الإتقان بحيث يمكن أن يُدعى من يكتب عن تاريخ التعليم ومسيرته في أي منطقة أن يهتدى بها

ويسير على نهجها . لو لم يأت من بعض جوانبها إلا أنه عدد الكتاتيب ومواقعها ، والمدرسين فيها ، وكيف كان وضعها، ومن كان يسيرها ويشرف عليها ، وجاء كل ذلك مفصلا .

لابد أن المؤلف كان يدون أولا بأول خطوات التعليم ، التي كان يرقبها عن قرب ، وبنظر دقيق ، وتأمّل مدرك ، وكان يأتي ذلك منه وهو مدرس ، ثم مدير مدرسة ، ثم مسؤولا أعلى .

سوف يدهش مدرس اليوم ، وطالب اليوم، وطالبة اليوم من الحالة التي كان عليها أثاث المدرسة ، فمن جلوس على

الأرض ، وسير في برد الشتاء بدون حذاء لبعض القادمين للدراسة من مسافات بعيدة، ثم تطور الفصل إلى مقعد واحد عليه أربع أو خمس بنات ، يكتبن على ركبهن فليس هناك مع المقعد شيء يكتبن فوقه ، وهذه كانت بداية التعليم الأهلي لهن وللأبناء .

ويختم كتابه القيم هذا بملاحق لابد منها ، وتغلبه روح الثقافة فيأتي بقائمة مما صدر في منطقة الجوف من كتب ، هي ثروة ثمينة في المكتبة السعودية .

وبعد لقد سعدت بقراءة هذا الكتاب الذي يدون السير الحثيث للتعليم في

منطقة عزيزة على أنفسنا ، ومهمة في بلادنا ، وأشكره أن أخذني في هذه الرحلة المفيدة ، فلولا طلبه مني أن أكتب له مقدمة لما وجدت وقتاً أقتطعه من وقتي ، فجزاه الله خيراً على أن ساعدني على نفسي . هذا والله الموفق ، وهو المستعان .

عبدالعزيز الخويطر

٢ / ٧ / ١٤٢٧هـ

شعراء عنيزة الشعبيون

مقدمة (١)

المتعلق بالتاريخ ، أو الهائم برياض الأدب ، أو الباحث في جوانب المجتمع ، يجد نفسه في حاجة إلى الشعر الدارج في هذه المنطقة ، وهو ما يسمى بالشعر العامي أو النبطي ، أو البدوي، أو المحلي ،

(١) مقدمة كتاب : «شعراء عنيزة الشعبيون» الجزء الأول ، كتبت في ٢١/٤/١٣٩٥هـ وأعيدت كتابتها في ٢٥/٨/١٤٠٣هـ ، وظهر الكتاب في طبعته الأولى في عام : ١٤٠٤هـ ، وهو من جمع الأخوين الفاضلين : عبدالرحمن العقيل المحمد وسليمان الهطلاني ، وطبع في المطابع الوطنية للأوفست بعنيزة .

أو الدارج . فالمؤرخ أو عاشق التاريخ ، يجد نفسه، اذا اقتصر على الرواية الشفوية أو التحريرية المنشورة، أنه خرج بصورة قد تكون ناقصة ، أو مبتورة ، أو باهته ، أو خاطئة في بعض الأحيان. والسبب في ذلك أن أكثر صور التاريخ قد دفنت مع أهلها ، ولم يبق منها الا القليل ، تحمله الرواية ، أجزاء من كل ، قاومت مرور الزمن ، وقصور الذاكرة ، وزفرت وأنّت من عبث العابث ، وجهدت من التباس الحوادث في أذهان الناس ، من تماثلها أو تقاربها ، حتى اختلط هذا بذاك ؛ فعظّم الحقير من الأمر وحقر العظيم منه ، وصور

النصر فيها هزيمة ، والهزيمة نصراً ، وبدا الغالب مغلوبا ، والمغلوب غالبا . والتاريخ عادة هش الجوانب ، يدخل إليه وفيه بسهولة ؛ أداة ذلك كله الغرض والهوى ، والجهل والادعاء ، وعوامل المفاخرة ، وحب الظهور ، زيادة إلى ما أشرنا إليه مما يعتري الإنسان في طبيعته من ضعف الذاكرة ، وخطأ التصور ، وازورار التفسير .

والشعر العامي ، رغم تعرّضِه لبعض ذلك ، إلا أنه بصورة أقل من النثر أو القصة ، وبدرجة أكثر ندرة وحدوثا ، لما يتمتع به الشعر عادة من سهولة في

اللفظ، وترابط بين الأبيات، وما تتطلبه القصيدة من تماسك في البناء ، وتناسق في الأجزاء ، وما تعورف عليه من نسق في كل نوع من أنواعه ، ولحاجة الناس إليه في مرحلة من مراحل حياتهم ، للإنشاد حينا ، والتغني والاستشهاد حينا آخر .

لهذا كان الشعر ألصق بالأذهان ، وأبقى في الذاكرة ، ويغري بأن يكرر ، وأن يكون مادة للحديث . بل ان هناك أمراً هاماً ، لا يغيب عن الذهن ، ولا يغرب عن البال ، لمسناه وشاهدناه، وهو أن الشعر مقبول من الأطفال في نجد في عهد مضى ، فلا تجد طفلا إلا ويحفظ قصائد

بأكملها ، نتيجة تكرار سماعه لها ممن يكبره سنًّا؛ يزيده شغفا بها ما يراه من هؤلاء الكبار من اهتمام بها ، وعناية بمن يحفظها ، وتقديرا له ، واعزازاً لمقامه ؛ فيفسح له في المجالس ، ويقدم في المناسبات ، ويثنَى عليه حاضراً أو غائباً .

كل هذه الأمور تشد الطفل ، وتخلب لبه .

ومما يساعده على الإقبال عليها ، قلة مشاغله ، وبساطة سبل التجمع وسهولتها، وقلة عدد مجالاته نوعاً وكثرتها عدداً ، فهو مع والده في «قهوة» البيت ، أو في ردهته ، أو في «النفود» على أطراف البلدة ، أو في أعلى

«الظهـرة» ، اذا لـم يكن هناك «نفـود» ، أو على طرف من البـســتـان . الطفل في كل هذا ظل أبيـه أو يكاد . وناهيك بعـد هذا بقوة حـافظة الطفل ، وسـرعة الاسـتظهـار عنده ، ورسوخ ما يستظهر في ذاكرته .

وساعد أيضاً على بقاء الشعر حيا في الأذهان ، متداولا على الألسنة ، محببا إلى النفـوس ، سـالما في الصـورة والمبنى ، أن بعضه كان تمجيداً لفئة أو قبيلة أو مدينة أو موقع ، أو دفعا لهجاء ، أو إعجابا بشجاعة فرد ، أو كرمه ، أو عزة نفسه ، أو حرقة قلبه . والمؤرخ يجد ضالته فيه ، يسد بها ثغـرات التـاريخ ، أو يصـحح أخطاءه ،

يفصل مجمله أو يبين مبهمه ، يشذب نواتئه أو يسوي حزونه ، يفتل ما انتقض من جمال جمله ، أو رث من معانيه ، أو وَهَى من أعمدته .

والهائم بالأدب ، المولع به ، المتابع لجديده ، يجد في الشعر العامي متعة لا يجدها في الشعر الفصيح إذا لم يكن من أهل تلك الثقافة ، ويزيد من حرصه على حفظه ، وترديده ، وتقليده ، ما يجده فيه من قرب للهجته ، ومن صدى لما يدور في نفسه . مما يصور عاطفة صادقة ، وحساً فطرياً شفافاً ، وما يجد فيه من تصوير لفضائل تتجاوب مع ما علّمه في الصغر ،

وما رُبى عليه يافعاً .

والشعر العامي بلغ في الجودة ، لإتاحة أسبابها له ، ما لم يبلغه الا القليل من الشعر الفصيح . وإلى أن يرتفع الشعر الفصيح ، بصورة شاملة ، لا بالصورة المحدودة حاليا ، ويأخذ مكانه ، ويزاحم في منطقتنا العامي ، فسوف يبقى الشعر العامي مطلوبا مبجلا ، للميزات التي تكمن فيه ، وأهمها القوة في تصوير المشاعر ، والجري مع السليقة ، والبعد عن التكلف ، والوصف الصادق لما يدور في النفس والمجتمع ، تجاوبا مع أناته وبسماته . وحق الفصحى ، وهي لغة القرآن ، ووعاء

الدين، أن يعتنى بها وألاّ تزاحم ، والشعر الفصيح جانب من جوانب أدبها ، يسعدنا أن نراه يوماً قوياً عملاقاً كما كان ، يأخذ الحيز الذي يحتله اليوم الشعر العامي ، ولكن هذا لن يتم إلا اذا وقفنا أمام وسائل خذلانه ، التي تكالبت عليه - وهو في ضعفه - لتقضي على البقية الباقية منه ، ولتطفئ شعلة الأمل التي أضاءت عند بعض الشعراء الفحول، الذين أناروا ميدان الأدب في أول هذا القرن ، وسلموا المشعل إلى أيدٍ أمينة لاتزال تمد بعطائها نفوساً ظمأى إلى مثل هذا العطاء الجيد ، وتنير الطريق ، وتبدد الدياجير التي خيمت زمناً

على الأذهان ، وتسير في هذا الطريق الموصل غير آبهة بالدعوات المغلفة التي تنادي بالاتجاه إِلى شعر ممسوخ ، هو عدة شعراء ، أقدامهم أضعف من أن تقف بهم مع المتسابقين ، بله تجري بهم في ميدان السباق ؛ كلما احتضرت دعوة نشاز أعقبتها أخرى ، حتى امتلأ ميدان الأدب بأشلاء أمثال هذا الشعر المشوه وجيفه ، ممثلا ذلك في دواوين منبوذة ، أو مجلات تحتضر لولا الدعم السخي من جهات يهمها أن تؤثر تأثيرها السيء، ولكن النهاية لمن يحمل القوة الحقيقية في طياته، متغلغلة في لحمته وسداه ، لا ألوانا مطلية

على الظاهر ، لا تصمد للمحك ، ولا تثبت أمام اللمس .

أما الشعر العامي فلن يزاحم الشعر الفصيح ، وهو نائب عنه في الأماكن التي خلي منها ، نائب مؤقت ، ووكيل أمين ، سوف يخلى مكانه عندما يأتي الأصيل . وحتى ذلك اليوم لا يجوز أن يحرم من لا يعرفون غير العامي ، ولا يجيدون إلا هو ، من هذه الوسيلة الشريفة التي تنطوي على أمور غالية عليهم ، فهي سجل مجد مروا به ، وجذور نبت عليها كثير من بنائنا الحالي ، مصدر فخرنا واعتزازنا ، ومرتكز انطلاقنا إلى ما نرجو

أن يساعدنا في السير نحو أهدافنا ، ونحو إثبات حقنا بين الأمم .

والباحث في المجتمع يجد في الشعر العامي بغيته ، ويلقى ضالته ، ففيه تكمن صور المجتمع على سجيته ، دون تزويق أو تصنع ، وبألوانها المختلفة ، وقد أخذت من زوايا متباينة ، تحيط بالفكرة إطاراً ، أو تدخل في ثناياها أصلا ، لتكملها ، أو توضحها ، أو تؤكدها . وأمكن الحفاظ عليها في الشعر دون غيرها ، لدقة تعبير الشعر ، والتزام الوزن ، وحكم القافية .

ولإدراك الكثير لأهمية الشعر الدارج هذا ، وخلو الميدان من منافسة الشعر

الفصيح ، في هذه الحقبة ، لدى أهل هذه البيئة ، أصبح هناك وعي في هذه الفترة من التفاتتنا الفكرية لتدوينه، فتنوعت الجهود لجمع القصائد في كتب تحوي مقتطفات من انتاج شعرائه ، أو في دواوين أفردت لشاعر من الشعراء ، بعض هذا وجد بمجهود شعراء ممن يجيدون هذا النمط ، فجمعوا شعرهم وشعر غيرهم ، وبعضها بجهود أدباء أو متحمسين ، رأوا في خطوتهم هذه مشاركة واجبة ، وسداً لنقص لابد من تحمل عبئه .

ومن أبرز ما ظهر في السنوات الأخيرة من كتب الشعر العامي ودواوينه مثلا :

« الأزهار النادية من أشعار البادية » ، جمع فيه ناشره أشعار آل قاضي ، وعبيد الرشيد وحمود الرشيد، ومحسن الهزاني ، ومحمد بن لعبون ، وابن سبيل ، والعوني، وحميدان الشويعر ، وغيرهم من فحول الشعراء الذين أضاءت كلماتهم فترة مهمة من فترات تاريخنا ، فمثلوا عصرهم خير تمثيل فيما « تنهدوا » به من شعر ، وبما نفثته صدورهم من أهات وزفرات ، أو رقصت له قلوبهم من ابتهاج وفرح . وما قالوه صوّر زمنهم خير تمثيل : حربه وسلمه ، خصبه وجدبه ، حره وقره، ما فيه من مرض أو صحة ،

ما اكتسحه من جراد مهاجم ، أو عصف به من رياح عاتية ، وصفوا فيه بيئتهم الحضرية أو البدوية ، حالة التجارة أو الزراعة ، مجالس السمر أو سرى الليل ، ومراكز « المشراق » ، واستظلال بالفي ؛ به صوروا الأشخاص الجادين الكادحين بناة المجتمع ، والهازلين طرفة المجتمع ، ومهزوزي العقل الندبة في خد المجتمع ، والكلف في وجهه.

في هذا الشعر رسمو للبعير صورة واضحة لمظهره ، الطيب من أنواعه ومعالم ذلك الطيب ، والرديء ومظاهر تلك

الرداءة ، النافع للأكل والحلب ، والجيد للركوب والسرعة ؛ رسموا عدته من « شداد » و « رسن » و « خرج » و «مزوده» و «سفايف» و «حداجه» و « نطع » و «جاعد» و « ميركه » ، وما يتبعها ، وصفوا طبيعته ونفسه ومزاجه ، وأسهبوا في هذا وأجادوا ، وفصلوا ودققوا ؛ ولا غرو أن أولوه عنايتهم ، فهو من أعمدة حياتهم ومعيشتهم .

وفي هذا الشعر وصفوا الخيل ، وجاءوا بما جاء به السابقون ، فصلة الخيل بهم هي الصلة التي كانت لآبائهم وأجدادهم من شعراء الفصحى ، وقد أدلوا بدلوهم

بجدارة ، فأبدعوا، فجاء شعرهم فيها صادقا معبرا خير تعبير لما يكنونه لها ، وما يعرفونه عنها ، وما يرونه منها من أفعال ، ويلمسونه فيها من ميزات . والخيل بهذا عماد آخر من أعمدة حياتهم.

وفي هذا الشعر وصفوا بيئتهم بما فيها من بساطة ، فلم يتركوا جانبا لم يقولوا فيه شيئاً ، يدل على تفاعلهم مع ما حولهم ، تفاعلا عميقا، يعكس حضارة تشربتها قلوبهم ، ويعكس استقلال شخصيتهم ، وانفرادهم بما اختاروه نمطا لحياتهم في إطار الإسلام في أنقى صوره ، فوصفوا تجارتهم وأنواعها ، وسبلها ،

وأدواتها ، وأوقاتها ؛ وصفوا الأمن فيها والخوف ، والربح والخسارة ، والازدهار والكساد ، والتذبذب والاستقرار ، الشدة والرخاء . ووصفوا الزراعة والفلاحة : أدواتها ووسائلها ، طرقها وأنواعها ، ومشاكلها وآفاتها ، أصدقاءها وأعداءها ؛ وصفوا الكد فيها والتعب ، القدرة والعجز ، والنشاط والخمول ؛ وصفوا المراعي «والمفالي» والصحاري والرمال، والوديان والجبال . والسحب والأمطار ، والقمر والنجوم، والشمس وحرها ، والأفلاك ودورها، فجاؤا بما يدل على تفكر واحاطة وتعمق .

وأحـــد هذه الكتب أيضـــاً : « ديـوان النبط » الذي جمع فيه الشاعر خالد الفرج أشـــعـــاراً مـــتـنـوعـــة ، اخـــتـــارها على نـهـج ارتـضـــاه، وهـنـاك كـتـــاب : « شـــاعـرات من البـادية » جـمـع فـيـه الاسـتـاذ عـبـدالله بن رداس ، شـعـر شـاعـرات مـقـلات ، قـلن الشـعـر تـفـريـجـا لزفـرات مـحـتـجـرة في صـدورهن في الأغلب ، فـكـان تـخـصـيـص كـتـاب لشـعـرهن التـفـاتـة مـوفـقـة . ومن الـدواوين المتـــداولة حـــاليـــا : «ديـوان التـمـيـمي» للشاعر الصناجه ، عـبـدالله بن علي بن صـــقـــيـــه ، و«روائع من الشـــعـــر النبطي» الذي اعتنى بجمعه من شعره ومن

شعر غيره الشاعر المشهود له بطول الباع، عبدالله اللويحان . ومن الدواوين التي بين أيدينا ديوان «الكنوز الشعبية» لمحمد بن مشعى الدوسري ، وديوان «الأنوار الهادية من أشعار البادية» لابن بادي ، وديوان «من البادية» للشاعر المعروف ، علي المحمد الصفراني ، وديوان «مظلوم» للشاعر المعروف أيضا ، علي الماجد .

ولست هنا بصدد تعداد ما ظهر من الدواوين ، ولكنها كلمات موجزة ، تعطي فكرة لمن قد لا يكون لديه فكرة عن طول باع هذا الجانب من أدبنا الشعبي وهو

بدء يتوقع له مع اقبال النهضة أن يزيد ، وأن يأخذ منعطفات متعددة ، فهو محبب إلى النفوس ، والتطلع إليه كبير ، وطالبوه كثر .

وهذا الكتاب ، الذي أضع كلمتي هذه في مستهله ، مجهود جديد ، يضيف طريفا إلى ما سبق تقديمه في هذا الفن ، حاول الأخ عبدالرحمن العقيل المحمد ، جامعه ، أن يضع بين دفتيه ما استطاع أن يقتنصه من سوانح وبوارح لم يسبق أن قيدت أوابدها . وعشقه لهذا النوع من الشعر ، وخوفه على ضياع بعضه ، وحرصه على المحافظة عليه ، دفعه على

ركـوب الصـعب في جـمـعـه ، وارخـاص الوقت في الصبر على تتبع شوارده .

والذي جـذبني إلى هذا الكتـاب ، وشـدني إلى مـا فـيـه من قـصـائد ، هو أنه يقدم شخصيات قليل من يعرفها ، ومن سمع عنها قـد لا يكون رأى أو سـمع عن آثارها الشعرية ، وفـائدته تتضح في أنه أرجع بعض القصائد أو الأبيات ، التي كان الناس يرددونها دون أن يعلموا أو يتأكدوا من قائلها ، الى قائلها ؛ وهي تسد ثغرة في تاريخ أدب تلك الحقبة ، وتزيل الشك الذي قـد يطرأ على أذهان بعض الناس في أنه ليس هناك في المجتمع الا الشعراء

المنقطعون للشعر ، في حين أن الثابت أن هناك من يقول شعراً مبرزاً اذا طغى عليه شعور ، حرك وجدانه ، وأثار أشجانه ، وجاء بما يبز به من اعترف بشاعريتهم .

وعرف عن الشعراء الذين ضمهم هذا الكتاب أنهم مقلون ، وشعرهم أقرب الى تصوير بيئتهم ، واحتياجها ، بطريقة طبيعية مبسطة ، لا أثر فيها للتكلف أو الصنعة أو تزويق المهنة ، فهو تجربة واقعية، أثرت في نفوسهم فصاغوها بهذا القالب الصادق النبيل في نظرهم ، فحددوا بذلك للمؤرخ ، والعالم النفسي ، مساقط اهتمامهم ، وما يشغل أذهانهم،

ويقدح قرائحهم .

واقتصر الأخ عبدالرحمن العقيل المحمد في مؤلفه هذا على منطقة بعينها ، حددها ، وهي مدينة عنيزة ، فجمع شعر أناس من أهلها ، أو أناس عاشوا فترة طويلة بين أهلها ، واتخذوها لهم مستقرا . ولو لم تكن أرفف المكتبات قد حظيت بدواوين ومجموعات شعرية لم تقتصر على منطقة بعينها ، لكان في تحديد اختيار شعراء مدينة بذاتها مجال للانتقاد ؛ أما وأنه قد وُفِّي الحق من غيره ، في التنويع والشمول ، وطبعت كتب تمثل ذلك ، فإن ما أقدم عليه محمدة . وفي

اختيار مثل هذا الأساس للتنظيم تتبين الميزات الآتية :

(١) ان هذه الطريقة أقرب إلى أن تحصي ما قاله كل شاعر في هذه الدائرة المرسومة المحدودة، وأقرب إلى أن يُطمأن الى صحة نسبته القصيدة الى قائلها الحقيقي مما لو كانت الدائرة أوسع .

(٢) أن هذه الطريقة تسمح للمؤلف أن يخصص مكانا في الكتاب لشاعر لم يرد له الا قصيدة واحدة ، أو بعض قصيده.

(٣) ان هذه الطريقة تجعل من السهل تتبع بعض المعاني خاصة لمن سوف يتصدى

لشرح الكلمات ، فحدود المنطقة يساعد على التحري عن غريب اللفظ بما بقي له من آثار على ألسنة المعاصرين .

(٤) ان هذه خطوة تدعو إلى الأمل في أن تحتذى من آخرين ، في جمع ما يخص بعض المدن ، وسيكون ذلك سيلا زاخراً ، إذا استمرت هذه القطرات .

(٥) قد تفيد هذه الخطوة الباحث في تاريخ الأدب على تتبع مداخل التأثير بين الشعراء ، ومن مواقع سكناهم ، وهجرتهم ورحلاتهم .

هذه ملامح عما سوف يخرج به قارئ الكتاب ممن يهوى هذا النوع من الشعر ،

ولتكمل فائدته أرجو أن يولي الأخ عبدالرحمن شرح الكلمات الغريبة العناية الفائقة ، خاصة تلك التي لا يعرفها الا القليلون ، إما لأنها لا تستعمل بصيغتها تلك إلا في القصيم ، أو لأنها لم تعد مستعمله بالقدر الذي كانت عليه في الماضي . وتكمل الفائدة أيضا اذا شرحت بعض الجمل التي تتحدث عن عادة بهتت أو اندثرت مثل «طبق زيزى» التي وردت ضمن أحد الأبيات .

حسن ظن الأخ عبدالرحمن بي ، ورغبته في أن أقدم الكتاب ، لا يعني أن أدعى أني أحطت بمعنى كل بيت قرأته ،

فجيلي لم تتح له رضاعة حولين كاملين في هذا الحقل ، والقليل الذي «تبلغت به» قبل أن أسافر من عنيزة الى مكة المكرمة ، وعمري حينئذ حوالي الثالثة عشر، ساعدني على التعرف على بعض الملامح ، وكان أساساً لما كسبته فيما بعد ، و«ضروة» لما تبع مما أمكن استيعابه . ورغم اني، ما عدا القليل ، أخرج من قراءة الأبيات بفكرة منطقية ، الا أنها قد لا تكون ما أراده الشاعر بكامل صورته . لهذا أرى أن هذا الكتاب إذا كمل بشرح غريبه ، وبينت مقاصده ومراميه البعيدة ، سوف يضيف فائدة لفوائده العديدة .

ومن هذا القبيل ، في طلب زيادة درجات الاكتمال ، أن تشكّل كلماته ، لأنه خلاف النثر ، الوزن يتوقف في كثير من الأحيان على دقة الشكل ، وبدونه قد يغيب المعنى الصحيح للكلمة ثم البيت . ومراعاة الشكل فيها خدمة لدارس اللهجات ، لأنها تحدد معالم لهجة عن أخرى ، والحكم الصائب هو لميزان الشعر الدقيق .

وشرح الغريب ، وتفسير الغامض ، والحرص على الشكل ، إذا لم يبادر باستيفائه ، في كل ما يطبع من الشعر الدارج ، فإن أغلبه سيفقد فائدة تدوينه أو

بعضها ، عندما ينقرض عارفوه ، وستكون محاولة تبيانه فيما بعد أمراً شاقاً وعسيراً ، ونتائجها غير مؤكدة ؛ ولأن المطبوع الآن كثير ، فان جهوداً تتناسب مع هذا الحجم يجب أن تبذل لشرح ما طبع وتفسيره .

وبعد :

لو لم يكن في تدوين الشعر العامي من الفوائد إلا أنه سجل يساعد على معرفة بيئة آبائنا ، وكيف مرّت حياتهم ، وربط لحاضرنا بماضينا ، وسيكون في بعض هذه الأبيات آثار وحكم تدعو إلى الاتعاظ والتأسّي .

ما مرّ حتى الآن في هذه العجالة كتبته في ٢١ / ٤ / ١٣٩٥هـ ، والآن وبعد أن مرّ

ما يقرب من أكثر من ثمان سنوات ماذا تراني أزيد أو أنقص على هذه المقدمة على حد قول العماد الأصفهاني المشهور . لقد صدق ما توقعته حينئذ من زيادة تدوين الشعر العامي نتيجة اهتمام الجامع والقارئ، زاد عن أي تصور ، وتعدى أي توقع ؛ ولا يكاد يمر عام دون أن نرى حصيلة منه في كتب متعددة ، تضاف إلى ما على أرفف المكتبات . والصحف أغلبها بدأ يفرد له صفحات ، في أيام معدودة ، أو متتالية . والقوة الكامنه في لغته العامية ، وهي اللغة اليومية ، واللمسة الأدبية التي يكسى بها ، وتطلع الشباب

إلى مرافئ المفاخرة ، ومرافئ المنافسة في مسالك الأعجاب ، وما للشعر عامة من جاذبية ، وما تميز به صاحبها في المجتمع ، جعلت الشعر العامي في ازدهار .

وما لم نتدارك الأمر ، فندفع اللغة العربية الفصحى الى ما تستحقه من مكان ومقام ، فنعوّد الصغير على حبها ، ونرضعه لبانها ، وهو غض الإهاب ، ونطرق أبواب التشويق بأنواعها ولا نقف متكلين على أن هذا واجب المدرسة ، ونجتر هذا الادعاء ، وتطمئن إليه نفوسنا ، رغم خطئه ، فان منافسة الشعر العامي والعامية للشعر الفصيح خطيرة مستقبلا ،

وسيستغلها دعاة التجزئة ممن هم خارج بلادنا إلى ما يعضد دعوتهم التي ما فتئوا يولونها من العناية المادية والمعنوية ما يدهش المتتبع والمتبصر .

وما أملته ، في وقت مضى ، من أن يراعى المؤرخون والدارسون للمجتمع من الاستفادة من الشعر العامي ، في سد ثغرات تاريخ بلادنا ، رأيت منه في هذه الفترة ما يثلج الصدر ، إذ كان أول من رأيت حقق هذا الأمل الأخ الأستاذ الدكتور عبدالله الصالح العثيمين في كتابه «إمارة آل رشيد» . ومن حسن حظ هذا الاتجاه أن يكون تنفيذه على يد الدكتور

عبدالله وهو من عرف بالدقة والإتقان ، وفي بحثه هذا أكد ، عمليا ، مدى فائدة الشعر العامي لتاريخ فترة اتسمت بالشح في المعلومات ، والتضارب في الروايات . وكان من أسباب إجادته معرفته العميقة بالشعر العامي وفنونه ، وصلته القديمة به مكنته من هذه المعرفة .

إن سار الأخ عبدالرحمن ، جامع هذه الباقة المنوعة ، رغم طول المدة بين كتابة المقدمة وظهور هذا الكتاب ، كما كان مخططا له ، وكما رأيت في المسودة الأولى ، على ما نواه من قصر الكتاب على فئة من الرعيل الأول مقلة ، وشعرها من

الصعب الحصول عليه ، ومحدودة بمنطقة عنيزة ، فإن المقدمة تبقى صالحة ؛ وإن اجتذبه الحقل ، وأتبع هذا بكتب أخرى لا تتقيد بما ذكر ، فيعتبر هذا الكتاب بأجمعه مقدمة لما يأتي في سلسلة هذه الكتب .

والذين يعرفون الأخ عبدالرحمن واهتمامه بهذا اللون من الشعر ، وفهمه له، ورعايته لجوانبه ، وسعيه في المحافظة على ما عرف منه، وصبره في جمعه ، وجلده على متابعة البحث ، يكنّ له من التقدير ما هو أهل له .

وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه .

مقدمة

التعليم وتنظيماته الإدارية في المملكة العربية السعودية (١)

صلتي بالتعليم ، واهتمامي به ، ومتابعتي لسيره ، وما يتبناه من جديده ، تجعلني أفرح عندما أجد باحثاً التفت إلى جانب من جوانبه ، لأن هذا يثري مكتبة التعليم ، ويضيف لبنة إلى بنائه النبيل ، هذه المهنة النبيلة ، والتخصص الشريف ، تستحق كل ما يبذل في دراسة جوانبها ،

---

(١) من تأليف الأستاذ محمد بن صالح بن عبدالعزيز النعيم من الأحساء ، كتبت هذه المقدمة في ١٢ / ٥ / ١٤٢٦هـ صدر الكتاب في ثلاثة أجزاء عام : ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

والإحاطة بما يكون في قاع بحرها ، مما قد لا يدري عنه إلا غواص ماهر ، وصاحب هدف خطط له ، ووضع البرامج للوصول إليه، واختار المواد التي يتكون منها الكيان الذي يسعى إلى إبرازه .

التعليم أمر حيّ ، لا يقف عند مستوى، إنه يتطور مع الوقت ، ويتغير مع مرور الزمن ، ويُحكم ويتقن كل ما كان المتصدي للبحث فيه مؤهلا لحمل العبء الثقيل الذي يحتاجه من يبدأ السير في إحدى جوادة . والتجارب العالمية أخرجته من دائرة الوطن ، فكل المتصلين بالتربية، مزاولة ، أو بحثاً ، أو مراقبة عن بُعد ،

يشيعون ما يتوصلون إليه ، وينشرونه ، وسائل النشر الحديثة ، وأدوات الاتصال المتقدمة التقنية، تساعد على نقل المعلومات والتجارب . وهذا يساهم على تفادي الخطأ قبل التغلغل في طريقه ، ويدفع بما هو مقبول ، وأصبح متفقاً عليه، إلى الأمام ، وبحماس يجعل الأمر هواية لا مهنة .

الأخ الباحث الأستاذ محمد بن صالح ابن عبدالعزيز النعيم أقدم بعزم على الإدلاء بدلوه في هذا الحقل النبيل المنير ، واختار : « التعليم وتنظيماته الإدارية في المملكة العربية السعودية منذ بدء التعليم

الحكومي حتى عام ١٤٢٠هـ ». وهذا موضوع واسع يحتاج إلى وقت وجهد ، لما فيه من طول زمن ، وكثرة وثائق ، وغزارة إحصائيات ، مما يحتاج الى رصد ومقارنة في كل خطوة يخطوها الباحث .

والتنظيم الإداري للتعليم مهم أهمية التعليم نفسه ، لأنه العربة التي تحمل المؤن، وتوصلها إلى حيث أريد لها أن تصل ، ولهذا فإن الأمر يتوجب إتقانها حتى يأتي العمل كاملا غير منقوص ، لأن أي خلل في الجانب الإداري يرمي ظلاله على التعليم ، وعلى القائمين عليه ، وعلى المستفيدين منه . وإتقان التنظيم يسرع

بجني الفائدة ، ويضيء الطريق إلى التطوير المبتغى ، بالطريقة السليمة ، التي تسهل جريان نهر التقدم ، وتمهد الطريق.

وقد بدأ التمهيد لبحثه بكنه العلم وفائدته ، والأفق الذي ينداح فيه ، والمدى الذي يصل إليه، ثم دخل إلى الهدف من بحثه بإعطاء ملامح من التنظيم الإداري في كل مرحلة مرّ بها التعليم ، التنظيم في الوزارة وفي إدارات التعليم ، متطرقا للأفراد الذين لهم دور بارز في دفع عجلة التعليم ، متتبعا «إستراتيجية» التعليم، وتطويرها وتعديلها في ضوء ما تبين من تجارب، وما جد من جديد في الهدف، وفي

ما اكتشف من جوانب تعليمية وتربوية .

وقد وضع بين يدي كتابه الأسس العامة للتعليم التي فُصِّلت في وثيقة سياسة التعليم المعتمدة من الدولة ، والتي جاءت عصارة فكر وتجربة لمدة غير قصيرة ، ونتيجة يقظة ومتابعة من عين بصيرة ، ومتابعة واعية حادبة . وقد أحسن في وضع هذه الوثيقة في الصدر حتى يتأكد أن البحث قد بني على أسس قوية مقبولة من القائمين على التعليم ، وبمصادقة من الدولة .

وسوف يحاول في بحثه أن يُري القارئ عن مدى ما طبق ، وما جاء بالنتيجة

المتوخاة ، مع رصد للأدوات الموظفة في هذا المجال ، والمستفاد منها للإستجابة لما تطلبته سياسة التعليم ، وما أمّلت أن يراعى حتى يكون التقويم المتواصل قائما على أسس سليمة ، ومُنفَّذا بالطريقة المتوقعة . وهذا يسهل الأمر عندما يحتاج التعليم إلى إعادة نظر في سياسته في ضوء مستجدات العلم والفن .

ثم دخل المؤلف إلى فصول كتابه ليستوعب فيها ما وعد ببحثه ، وفي فصل التمهيد ذكر أمرين رئيسين : العلم والمعارف ، وفي العلم عرض تعريفه وفائدته ، وفي المعارف جاء على معارف

الجزيرة . وقد ألقى ضوءاً حول مفهوم العلم ، مع عرض عن الإنسان القديم والعلم .

وفي هذا الباب أضاء بحثه بما قيل عن العلم عموما وجاء ذلك شعراً ونثراً ، مما يثري فكر القارئ ، ويخفف من توقع الملل لدى القارئ . وسوف يكون فيها فائدة للقارئ الشادي ، ويمر بما مرّ به طلاب العلم في الماضي قبل أن تشغلهم وسائل الاتصال الحديثة ، وتقيدهم بقيودها ، وتحبسهم في نطاق التقنية الطاغية المسيطرة .

ويأتي فصل يتحدث فيه المؤلف عن

جذور التعليم في الجزيرة العربية ، وما أدخله الإسلام ، وما انتشر قبل التعليم الحديث . مبتدئا بنزول الوحي ، وسائراً عبر التاريخ إلى ما انتشر من تعليم في الزوايا وعند الأساطين في المساجد من مدرسين وقصاصين .

ثم يجد أنه آن الأوان أن يدلف إلى المملكة العربية السعودية في هذه الحقبة ، وما كان عليه التعليم في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة وفي الأحساء وفي نجد . وعدّد بعض المدارس البارزة ، التي كان لها أثر في محيطها . مع مقارنة بينها وما يقابلها من المدارس الحكومية الحالية .

مبرزا مناهجها وخططها .

ويأتي في الباب الثاني على انطلاقة التعليم تحت إدارة المعارف ثم وزارتها ، وإنشاء تعليم البنات .

ولا أريد أن أطيل في وصف أبواب الكتاب ، والإحاطة الشاملة التي احتوى عليها في إيضاح ما تعهد الباحث بإيضاحه وشرحه . وسوف يكون مرجعا مهماً يلجأ إليه من أراد أن يأخذ فكرة عن نشأة التعليم وسيره في ضوء ما رسم له من سياسة ، وما وضع له من خطط ، تطورت مع الزمن والتعليم يمر بحقب مختلفة .

وقد حرص المؤلف في آخر الكتاب على رصد المصادر التي اعتمد عليها ، مضيفا بهذا فائدة جلّى لمن أراد أن يتابع جانبا من جوانب الإدارة في التعليم .

وفق الله الباحث إلى متابعة الإنتاج في هذا الحقل النبيل ، خاصة تلك الجوانب التي لم يُتطرق لها ، ومن أولى بالتعليم وأموره من أبنائه .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

مقدمة كتاب
« الطبريون مؤرخو مكة » (١)

الأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالغني ابن محمد جمال مالكي من بيت علم معروف ، ومشهود لبعض سلفه منأهله بالتبريز في العلم ، ولهذا لا غرو أن يسير هو في الطريق الذي ساروا فيه ، وينهج النهج الذي ارتضوه . وقد تميز في أنه يفاجئ محبيه بأبحاث لم يتطرق إليها أحد ، وبمواضيع قد لا يعرفها إلا قليل من المتخصصين ، ولا تتبين أهميتها إلا بعد أن

---

(١) كتبت في ٨/٨/١٤٢٥هـ - الطبعة الأولى .

يتطرق لها ، ويفرد لها ما تستحقه من بحث وعناية ، تبرز جوانب لم يكن أحد يظن أنها تدخل فيها .

والباحث الأصيل هو الذي يعرف هدفه قبل أن يبدأ بالبحث الذي سوف يستقصي عنه ، ويكتب فيه ، ثم يبدأ الجهد للوصول إلى الهدف من التعرف على المصادر ، وعلى ما كتب من نقض في هذا المرجع أو ذاك . وقد يفاجأ الباحث بوفرة المعلومات ، وغزارة المادة ، وكثرة المصادر. وقد يفاجأ كذلك ببعض الصعوبات التي هي من طبيعة البحوث ، ولكن درجاتها تختلف ، فقد يكون بعض المراجع

مفقوداً، وبعضها لا يزال مخطوطا ، ولكنه في بلدة بعيدة، والوصول إلى المرجع طريقه ليس سهلا ، إذا ما أعان الله الباحث وذهب إلى بلد المرجع . ولكن لذة النتائج التي يتوصل إليها الباحث تنسيه العناء الذي تعرض له ، والنَّصَبْ الذي قاساه . وهذا من طبيعة الأمور ، فيكاد كل تعب جاء بنتيجة حسنة يُنسي ما بُذل من جهد ونَصَب .

الدكتور سليمان اختار موضوعاً محدداً، وجعله هو وكده ، وهو قبلته في بحثه ، وسار فيه مدفوعا بإيمانه بفائدته ، وعالجه معالجة العالم الجامعي من حيث

التوثيق والاستقصاء ، والتدبر والتحليل .
وجعل بؤرة اهتمامه «الطبريون من مؤرخي مكة» وتحدث عن نشاطهم العلمي ، ووظائفهم في الحرم خلال القرن الثامن الهجري .

كان لابد له ، وهو يتكلم عن علماء وعالمات ، أن يمهد لذلك بالحديث عن العلم ، مدخلا يعضده المنطق ، ويقتضيه التدرج في طريقة البحث . فتكلم عن العلم وصرّفه لغوياً ، ورأى أهميته في ضوء ما ذكر وشرح ، وبين فضله ، وموقعه المبجل من الفكر والبصيرة ، وبرهن على ما قال بأدلة من القرآن الكريم ، والسنة

الحمدية السمحاء ، وأردف ذلك ، باستقصاء موزون ، من كلام الحكماء ، وأقوال العلماء ، وما أثر عن المفكرين ، واستنتج من النصوص ما يعضد ما ذهب إليه .

وبيّن ، وهو يتحدث عن العلم وفضله ، ما أثر مما كتب فيه ، ومقدار احترام حامله ، والتقدير الذي يناله في مجتمعه ، وما يرجى من ثواب له عند الله ، ونعيم في الآخرة .

ثم انتقل إلى تهيئة ذهن القارئ لمعرفة موقع علماء مكة بين العلماء المعاصرين لهم ، ولمس ما أحاط بحياتهم من أحداث

سياسية ، رمت ظلالها المعوقة لهم ، والمؤخرة لانطلاقهم ، وما استطاعوا أن يتغلبوا عليه من عقبات ، وبين أن هناك إضاءات تتخلل الغمام الذي تأتي به السياسة ، فكشف عما أنجزه العلماء في مجال الحوار ، والمناظرة والتأليف ، وتنقيح ما سبق أن ألفه العلماء من قبل ، مع إضافة مفيدة ، وتصنيف نافع ، وتصحيح واجب ، وتعليق لا غنى عنه . وأبرز ما أبدعوا فيه ، وما جاء مبتكراً ، يشهد لهم بالفضل .

وكان للحكام في تلك الحقبة تأثير على الجانب الأمني ، فمنهم من جاء وهو

معزّ للعلماء ، عارف بقَدْرهم ، فساعدهم على أن يعيشوا في جو يعطيهم القدرة على القيام بواجبهم تعليما وتثقيفا وتأليفا ، ونشراً للعلم ، وتشجيعاً لطالبيه ، باذلاً لهم من تعضيده وكرمه ما يجعل الإزدهار مخيماً ، والطمأنينة سائدة . ولمس بعض الحقب التي كثرت فيها الفتن مما غيب شمس العلم ، وكسف نورها ، فهاجر مَن هاجر ، وركد مَن ركد ، فلم يستطيعوا أن يهيئوا من يخلفهم إذا لاقوا وجه ربهم . ويبين ما تعرضت له مكة من ذلك ، وانتقال العلم منها إلى بلدان حظيت بهؤلاء العلماء ، وكان قدومهم

قدوم سعد ، ووجودهم عامل خير .

سنوات القتام التي مرت بمكة حمّل إثمها على حكام مكة ، وما كان بينهم من تنافس ، وما انتشر من أحقاد ، وما تكرر من ثارات ، مما أوجد الفتن ، وأثر على الأمن والاقتصاد ، وراحة المجتمع .

أشار كذلك أنه في وقت من الأوقات كانت المدارس في مكة أنشأها أناس من أهل الخير من خارج مكة ، ممن كانوا يرون في زرع غرس الخير فيها الجزاء والثواب من الله - سبحانه وتعالى - ولم يبخلو عليها بالمال والرعاية ، وهذه البلدان نائية عن مكة ، ولكن الله هداهم لهذا .

أَثَرُ الحكم على العلم في مكة أمـر يستحق الدراسة والمتابعة ، وقد وجد أن العراك بين أمرائها وراء ما مني به العلم من معاناة ، وهذه الحالة أدت إلى قصر مدة حكم الأمير عند مجيئه للحكم ، وهناك من يتربص به الدوائر ، حتى أصبح حكام مكة من الضعف بحيث أنهم أصبحوا مطمعا لحكام خارجها ، مثل حكام مصر واليمن ، وأصبح محيط مكة الاجتماعي تتلبسه أصداء الأرواح المزهقة ، والأموال المعروضة للنهب والسلب . وهذا رمى بظلاله على الحجاج والمعتمرين ، مما أثر تأثيراً واضحاً على الحياة الاقتصادية ،

وكانت مكة تستفيد كثيراً من الحجاج .

كل هذا جعل مجتمع الحجاز غير ملائم لازدهار العلم ، وتواجد المبدعين فيه .

وقد لمس الباحث الأسباب التي يكمن بعضها خلف ظاهرة النزاع بين الأمراء ، وأن مرد بعضها إلى أنه ليس هناك نظام وراثة للعرش ، يحكم حلول الابن محل الأب ، أو الأخ محل أخيه . كل هذا لم يساعد مكة أن تكون كما أمل الناس لها ملاذاً وأمنا .

ثم بعد كل هذه التوطئة في العلم ، ومحيطه ، وما يؤثر فيه ازدهاراً ، أو خلاف

ذلك ، يدلف إلى هدفه الرئيس ، ممهداً له بالحديث عن أُسَر العلماء الذين ازدهر العلم على أيديهم في مكة ، وذكر أبرزهم حتى وصل إلى بغيته : العلماء الطبريون ، وقد بدأ هذا بالتأكيد على أن هؤلاء العلماء يعود اسمهم إلى طبرستان وليس إلى طبرية التي في الشام . وذكر أنهم ليسوا من أصل واحد ، وأن منهم فرع القطان وفرع ابن النجار ، وأنهم إما أن يكونوا شيبانيين أو حسينيين ، ثم دخل في تفصيل نسب كل عالم منهم ، وما هو بارز فيه في حياته .

وأشاد بفضل الطبريات وعلمهن ، وأن

العالم منهم زوجته عالمة مثله ، وأكد على بروزهن ، وما قمن به من مساهمة فعالة برزن بها ، ودخلن التاريخ مما دون عنهن من تراجم بيّنت المجالات التي كان لهن فيها إبداع .

وقد تحدث المؤلف عن أول من قدم إلى مكة من الطبريين ، وفصّل في هذا بما لا يحتاج إلى مزيد ، وتتبع تسلسل أبنائهم نزولا مع الأجيال ، وأبان تخصصهم في دراساتهم في العلوم الدينية دون العلوم العقلية .

ثم انتقل إلى ذكر وظائفهم ، وما كانوا يقومون به من عمل ، وأهم عمل هو

تولي منصب القضاء ، وهذا المنصب يتبعه عادة منصب الإمامة ، والخطابة ، والإفتاء ، أو واحد من هذه الأمور أو اثنين . ونوه باستئثارهم بالقضاء في مكة ، نتيجة تضلعهم في العلم ، لوجودهم في الحرم ، مما أتاح لهم أن ينهلوا من منابع علوم الدين المتعددة .

وبين مرحلة اقتسام القضاء بين الشافعية والمالكية من الطبريين ، مع رجحان الشافعية في هذا المقام ، وأعطى السبب لهذا أن مصر شافعية، وتعيين القضاة يأتي من مصر في تلك الحقبة ، لأن لها السيادة على الحجاز ، وأهمية القضاء

جعل التعيين يأتي من السلطان نفسه ، خلافا لتعيين الأمراء الذي لا يزيد الأمر فيه عن اعتراف السلطان المصري بالأمر الواقع.

ثم جاء عند الحديث عن حقبة صعبة في مكة برز فيها اختلاف المذاهب في مكة، واضطراب الحال ، فكان هناك قضاة للشافعية ، وقضاة للمالكية ، وقضاة للأحناف ، وقضاة للحنابلة ، وقضاة للزيدية ، وحكام مكة من الأشراف كانوا يتحاكمون عند قاضي الزيدية . ثم جاء وقت صار المقدم هو الشافعي ، لأن صلاح الدين الأيوبي وأبناءه والمماليك كانوا

شافعية . وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء العثمانيون فصار المقدم الحنفي ، لأنه مذهب الدولة الرسمي .

هذا في القضاء ، وكان الأمر مثله بالنسبة للإمامة ، فكل إمام يؤذن ويقيم وحده ، ولكل مذهب من خمسة المذاهب وقت إلا المغرب لضيق الوقت . وكان هناك إزعاج وتشويش ، فبعض الناس لا يستطيع أن يتقن صلاته لتداخل أداء الأئمة لصلواتهم . وقد أوقف العثمانيون هذا الترتيب ، وأصبح الحنفي هو الإمام وحده .

وبعد :

هذا كتاب جمع من المعلومات في مجاله ما سيساعد الباحث ، وطالب الفائدة ، من العثور على ضالته بسهولة ويسر ، فقد سار فيه مؤلفه بطريقة علمية موثقة يعتمد عليها ، ويطمأن إليها ، وفيها معالم للطريق هادية وواضحة .

هذا والله ولي التوفيق .

مقدمة كتيب
« الوسائل التعليمية » (١)

الأجهزة الحديثة المستفاد منها وسيلة للتعليم أصبحت تمثل جانباً هاماً في التعليم ، لتعدد أنواعها ، وأهميتها في إيصال المعلومات إلى ذهن الطالب ، وتثبيتها فيه مع اختصار الوقت والجهد ، وإعطاء نطاق أوسع للتصور والفهم ، ومساعدة جميع الحواس الممكنة في المشاركة .

---

(١) كتبت مقدمة لكتاب أصدرته وزارة المعارف عن الوسائل التعليمية ، وكتبت هذه المقدمة في ٢٧ / ٧ / ١٤٠٤هـ .

وأهميتها تزداد يوما بعد يوم مع كل اختراع جديد ، أو تحسين لجهاز سابق أو تطوير له . وفائدتها تتكامل بإتقان إعمالها ، والمداومة على صيانتها : بالمحافظة عليها ، وإحسان استخدامها ، وإعطائها حقها من الحفظ والتنظيف .

لهذا كله كان الاهتمام بتدريب المدرس عليها ، واطلاعه على داخلها ، والطرق المثلى لتشغيلها ، وتعليمه جميع ما يمكن أن يستفاد منها، وتعرفه على تركيبها ، وخطوات عملها ، حتى يألف جميع جوانبها ، فيساهم مع المخترع في التحسين والتطوير ، أو يدخل ما يمكن إدخاله

بنفسه ، أو ينقل فائدة استخدامها إلى جانب لم يكن في الأصل قد فُكر فيها أن تخدمه .

والاهتمام بها يعود ، مع ما ذكر ، إلى أنها جذابة للدارس ، وتبعد عنه الملل ، وتشده بما قد يكون فيها من إبداع في العرض ، وجمال في المادة ، وتقريب مجسم للبعيد ، (من افلاك وغيرها) ، وإيضاح للمبهم (من تشريح أجسام، وتطوير نمو) ، وتأمينٍ للخَطِر ، (من إيضاح دقيق للاشتعال، وتصرف الثعابين)، وتكبير للصغير ، (من مخلوقات دقيقة لا ترى إلا بالمجهر) ،

وسبرٍ لأغوار الماضي (مما انقرض أو كاد) ، وغوصٍ للأعماق السحيقة ، (من بحار وبراكين وطبقات الأرض) .

وهذا الكتيب الذي بين أيدينا محاولة جادة لجمع معلومات مختصرة ، موضحة ، عن بعض الوسائل التعليمية الحديثة ، التي يحتاج إليها المدرس في شرح دروسه ، وهي متوفرة بين يديه ، وسيساعده هذا العرض على معرفتها ، والطريق إلى تشغيلها وصيانتها ، حتى تؤدي غرضها كاملاً .

وفي الصفحات الأولى من هذا المصور وصف شامل لهذا الجانب التربوي مما يغني

عن الإعـــادة هنا ، وإني إذ أُصـــدِّر هذا الكتيب بالشكر والتقدير للذين بذلوا الجهد لإعداده ، وعلى رأسهم الأخ الدكتور عبدالله أبو راس ، لأتمنى لهم جميعاً ، التوفيق في تطويره عاماً بعد عام، وكلما دعت الحاجة ، أو جدّ جديد ، وما أكثر الجديد في هذا الجانب من العمل التربوي .

والله الموفق .

المباني القديمة

تقديم (١)

المسكن للإنسان هو العمود الثالث بجانب رزقه وملبسه ، فلا عجب إذاً أن صار مهمّا في حياته ، يحرصُ أن يكون متقنا في رد حر القيظ ، وبرد الشتاء ، وفي تحمل صدمات الريح ، ونزول المطر ، محصّنا عن تعدي الإنسان في الأيام العادية ، وفي أوقات الحروب ، وافيا بسكنى العائلة كثر عددها أو قل ، وقيمته

---

(١) كتبت مقدمة للكتيب الذي أصدرته إدارة الآثار عن المباني القديمة .

في حدود طاقة صاحبه دون تقتير في الصرف على بنائه ولا تبذير . فيه من مظهر صاحبه الاجتماعي ما يحدد مستواه بين مواطنيه ، سواء كان تملكا أو إيجاراً .

الحديث عن مساكن اللبن في نجد ينقسم إلى عدة أقسام ، كل قسم يحتاج إلى دراسة ، واستقصاء ، منذ أن بدأ الانسان يبني بيت اللبن (اذا أمكن الغوص تقهقراً في أحقاب التاريخ) إلى ما أصبح عليه من إتقان .

فالقسم الأول المادة التي يبنى منها ، ومصدرها ، وعناصرها وما تمر به من مراحل حتى تصل إلى وضعها في مكانها

من البناء ، ويدخل في ذلك الطين وأنواعه، وأماكن جلبه سواء كان من الوديان أو السهول ، أو الأراضي الطينية الزراعية ، أو التبن وهو ما يخلط مع الطين، أو الخشب أثلاً كان أو جذوع النخيل ، أو عسبانها ، أو خوصها ، أو ما يعمل من حبال من موادها كالليف مثلا ، وما يكمل البناء من جص أو نورة .

والقسم الثاني خطة البناء ، سواء كان ذلك في اختيار الموقع ، أو تقرير واجهات البيت ، أو تفصيله وترتيب غرفه ، وتقرير عدد أدواره ، وما قد يلزمه من فسحات داخلية ، أو منازل تحت الأرض .

ويدخل ضمن هذا ما قد يوجبه الوضع العام للمدينة أو القرية من تقارب البيوت، واختصار الشوارع عدداً وسعة حتى لا تضام البلدة عند بناء السور الذي يحميها من الغارات والهجمات .

والقسم الثالث المهندسون والبناؤون ومن يساعدهم ، وما يمرون به من تدريب حتى يتقنوا الصنعة ويسلموها جيلا لجيل، دون اخلال بالمنجزات الفنية في هذا الحقل المهم، ويضيف اللاحق على السابق ما قد يجد من تحسين في العمل أو المواد .

فإذا وصل الدارس الحديث إلى صورة متكاملة ، أو قريبة من التكامل يبقى عليه

بعـــد ذلك الغـــوص في أعـــمـــاق الحـــيـــاة الاجـتـمـاعـيـة التي ملأت هـذا الإطار الذي تكيف حسب حاجتها ، وما مرت به من مـعـيـشـة ، وإحـدى عـينيـه على النواحي المعنوية والأخـرى على النواحي الحـسـيـة ، فـهـو عـندما يـرى بعض مظاهر البناء وأراد أن يفـسـر ما قـد يبـدو غـريبـا ، فـإن الحل يكمن في الحياة التي عاشها هؤلاء الناس تحكمهم ظروفهم الاجتماعية التي كيفها الدين وما تعارف عليه الناس من عادات وتقاليد ، وقد يكون فيما وصلوا إليه ما يخدم أغراضا عديدة ، فالنوافذ الصغيرة المرتفعة مثلا فوائدها متعددة وترجح على

ما قد يُظنّ فيها من نقص . فإذا كان فتحها وغلقها مزعجا لبعدها عن متناول اليد ، وإذا كان النور الذي تلقيه على المكان أقل مما تلقيه نافذة واسعة فإن الفوائد تكمن في أن صغرها يساعد على العزل الجيد ، وارتفاعها يبعد وصول الأطفال إليها ، وكشف الجيران لمن فيها، وضمان عدم تيار مباشر يضر بالجالس أو النائم.

ومادة التبن التي تخلط بالطين ثبتت أهميتها لتقويته ، لأنها عنصر ثانٍ ، ولأنها تسمح للينها وما فيها من مسام للتمدد ، وامتصاص الحرارة والبرودة ، وهي مادة قريبة التناول ، رخيصة القيمة .

وبهذه المناسبة كانت هذه المواد التي تبنى منها البيوت مواد محلية ، لم يُجْلَب شيء منها من الخارج ، ولا تجد في كل ما قام عليه البيت شيئاً لم يستنبت أو يصنع على بعد أمتار من مكان البناء .

وما يأتي من فائدة في دوران المنفعة الاقتصادية بين الفئات المتعاونة ، وما يضمن من وفاء البيت بما أريد منه في هذه البيئة هو ما حدا بالمعماري الكبير الاستاذ حسن فتحي - رحمه الله - أن يقف حياته على الدعوة لتطوير البناء القديم . ليكون الركيزة للانطلاق إلى ما يخدم المجتمعات الريفية خدمة كاملة في بناء البيوت ، وفي

الجوانب الاقتصادية حيالها . ولكن سرعة التطور في هذا الزمن أدار العجلة بقوة لم يستطع أن يقف هو أو من اقتنعوا برأيه أمامه ، ولعل دعوته - رحمه الله - جاءت متأخرة . ولكنه سجل في تاريخ البناء الريفي صفحة مجيدة سوف تبقى ذكراها مضيئة أمام المصلحين الاجتماعيين .

إنه من حسن الطالع أن يأتي المهندس فرانكو البيني إلى الرياض في الفترة التي كانت لا تزال المباني الطينية تحتفظ بنماذج متعددة لما كان الأمر عليه في الماضي ، ومساهمته بنظرته الفنية إلى بيئة تختلف عما تعود عليه تضيف لمسة فنية

لا غنى عنها لتفسير بعض الظواهر المعمارية التي تبلورت مع الزمن ، والفن المعماري لا يعرف وطنا ، فأصوله مرتكزة على إضاءات فكرية ، ترسم خطوطها التجربة أين كانت .

إن هذا الكتاب أول خطوة في طريق دراسة المباني القديمة في المملكة العربية السعودية ، والحقل واسع والطريق طويل ، ولكن لابد من البدء ولو بجهود متواضعة ، من حيث الكم ، ولكن من حيث الموضوع فهذه الخطوة مهمة لأنها الركيزة الأولى في هذا المجال . وأرجو أن يكون قبول هذا العمل من المتلقين له حافزاً للقائمين على

هذا العمل للسير في انجاز مراحل أخرى .

وفي هذه العجالة أهنئ القائمين على هذا العمل ، والذين ساهموا معهم ، على هذا المجهود ، وهذا الاتجاه ، وخطوات تسجيل الحضارة أمر بالغ الأهمية وفي إنجازه مفخرة للذين يقومون به تغطي على تعبهم وعنائهم ، والتاريخ لهذه الفن سوف يسجل لهم هذا .

والله ولي التوفيق، والسلام .

عبدالعزيز الخويطر

٢٦ / ١٢ / ١٤١٠هـ

الكلام على حقيقة الإيمان والإسلام

مقدمة (١)

ابن تيميه أشهر من أن يُعرّف به ، فقد نذر حياته لخدمة الإسلام : درَس أصوله وفروعه ، ودرّسها ، وألف فيها المجلدات الضخمة ، والرسائل المتخصصة ، درسها بعمق ، وجلا غوامضها بمقدرة ، وردّ بحماس وعلم على شبهات بعض من جانبهم التوفيق . طبقت شهرته الآفاق لما بدا منه من تفوق

---

(١) مقدمة لكتاب ابن تيمية : «الكلام على حقيقة الإيمان والإسلام» : تحقيق الدكتور محمود حسن أبو ناجي الشيباني في ١٠ / ٩ / ١٤٠٩هـ .

مع صغر سن ، ولما ظهر عليه من تبحر في العلم ، ولما تصدى له من جهاد ، فقد تغرّب وتعذّب ، وسجن وأوذي في سبيل الدعوة إلى ما آمن به .

ترك ابن تيميه تراثا ضافيا ، وعلما عميقا ، يصعب على أي إنسان أن ينتجه مع ما تعرض له مما كان متوقعا أن يعيق بذله وإنتاجه . إلا أن الله سبحانه وتعالى أعانه ، حسنه ، فلقد كانت نيته ، كما يظهر ، حسنه ، وقصده نبيلاً ، وهدفه سامياً . ولقد وفق في بسط كثير مما ينفع الناس من العلم ، سواء في الأصول أو في بعض ما يعرض للناس في حياتهم ، في

ضوء مجتمعهم وزمنه .

ولم تكن آراؤه وقتية ، بل كانت تتعدى في نفعها إلى أزمان لاحقة ، ومنها زماننا ، وقد أعطاه الله البصيرة ، ليبدي ما يجد المرء أنه يعالج مشاكل هي من مظاهر عصرنا . وهذا يدل على نجاح في الاستقصاء ، وعمق في التفكير ، ومقدرة على تتبعٍ دقيق لجوانب الأمور.

ويجب أن يفخر من يتصدى لتحقيق كتبه ونشرها في زماننا هذا ، لما حظيت به ماضياً وحاضراً من احترام ممن عرفوا رجاحة الرأي ، ومتانة الدين ، وسلامة المعتقد ، والفقه في أمور الشريعة ،

وتقديرهم . ولأن زماننا هذا في حاجة إلى مثل هذه الكتب التي حوت غذاءً ذهنياً شهيا ، ونوراً ساطعاً هاديا ، لما حوته من آيات مفسرة ، وأحاديث مستنطقة ، وآراء نيرة . وكتبه تقي ، بإذن الله ، من الضلال ، أمام بعض ما جدّ على الساحة الإسلامية مما قد لا يكون سائراً على جادة السلف الصالح . وهو يضع ، رحمه الله ، أسساً قوية يمكن لطلاب العلم اليوم أن يستفيدوا منها في القياس ، لما يواجههم من أمور الحياة الحديثة .

وعلم ابن تيمية ، واتجاهه السلفي ، وتوفيقه في الاستدلال والتعليل ، لم

ينقطع عند موته ، فقد بارك الله هذا العلم بأن أبقاه حيّاً بحمل تلاميذه له ، ونشرهم إياه ، ولحفظ الله - تبارك وتعالى - لكتبه وآرائه ، وإعطائها جاذبية عجيبة ، فلا يكاد من يتعرف عليها ، وعلى نهجه فيها ، إلا ويجد نفسه طالبا المزيد منها ، مقبلا على ما ترك من تراث إقبال الهيم الظماء على الماء .

ولا غرو إذن أن يجد الدكتور محمود حسن أبو ناجي الشيباني نفسه منجذبا إلى روض من رياض العلم الغنّاء ، تفوح أزهاره ونبته بعبق الإيمان والإسلام ،

فيدع تخصصه جانبا ، لفترة ، وهو الذي انقطع لخدمة اللغة العربية ، نحوها وصرفها ، وآدابها ، وينصب خيمته بجانب هذا الروض الزاهر خمس سنوات ، تمر سريعة ، رغم ما بذله من مجهود لجعل القارئ يتمتع بما تمتع به ، دون عناء أو جهد .

أقبل الدكتور محمود على كتاب « الكلام على حقيقة الإيمان والإسلام » لابن تيمية ، وهو كتاب ، حسب علمه ، لم يسبق أن طبع ، فحققه ، وخرّج الآيات فيه ، والأحاديث . وشرح غوامض كلماته ، وعرّف بأصحاب

التــراجم الذين ورد ذكــرهم فــيــه ، وبيّن الفرق الإسلامية ، وحدّد قائلي الأشعار الذين لم تبين أسماؤهم ، وقابل بين المخطوطات التي عثر عليها عن الكتاب ، ووضع للفصول عناوين . وقبل ذلك كله عرّف بابن تيمية ، ووضع فهارس تسهّل على المُراجع العثور بسهولة على بغيته عند الحاجة .

وقد وفق في اختيار هذا الكتاب للتحقيق ، لأنه إذا كانت كل كتب ابن تيمية قيّمة ، فإن كتاب الإيمان والإسلام يأتي في قمة القائمة ، فالإيمان والإسلام هما جوهر العقيدة . ومن قرأ ما جاء من

حقائق عنهما مفرّقاً في كتب ابن تيمية فسوف يتطلع إلى ما جاء في هذا الكتاب النفيس الثمين مجمّعاً .

إن علم الدكتور محمود في حقول اللغة العربية ، وتجربته السابقة المتعددة الجوانب في التحقيق ، لابد أنها ساعدته كثيراً على أن يأتي تحقيقه بالمستوى الذي يرجى أن يكمل النفع بهذا الكتاب . ونسأل الله له الأجر والثواب على اجتهاده وجهده ، وعلى ما يكمن خلف هذا كله من نية حسنة ، وقصد نبيل .

يكفي المرء فرحة ، وثمنا للجهد ، أن يسمع كلمة جزاه الله خيراً ، لا توجّه

للمحقق فقط ، ولكنها توجه أيضا للمؤلف مضافاً إليها كلمة ، رحمه الله ، مع ما قد يضاف أيضا ، مما قد يوفق له القارئ من دعاء لذلك المجاهد ، الذي أرخص حياته ، وحرمها الراحة والمتعة في سبيل الله ، وإعلاء كلمته ، والذبّ عن شريعته ، وهو لم يكتب كتبه ، رحمه الله، لا هو ولا كثير من أمثاله ، لتوضع ، مخطوطة ، على الأرفف في مكتبات خاصة ، أو منزوية في مخازن مكتبات عامة ، ولم « ينفق » نور عينيه ، ويعشيهما ، من جراء الدراسة والكتابة ، على ذؤابة نور ضئيل ،

يتراقص ساعات وساعات ، كأنه حشرجة روح، ليقبر جهده ، ولكنه أراد أن يستفيد الناس قاطبة من جهده ، وتضحيته . ولهذا فإني أشعر دائماً أن الإثم كبير على أولئك الذين يحبسون مثل هذه المخطوطات ، كأنها حُلىً خاصة بهم ، فلا ترى النور ، ولا تتنسّم الهواء ، فيحرمون بهذا كاتبها من كلمة «جزاه الله خيراً» تقال من قلب مخلص ، ولسان رطب من ذكر الله ، توافق ساعة قبول .

إن جهد الدكتور محمود مشكور من الناس ، ونرجو أن يكون مقبولا من الله ، سبحانه وتعالى . وأن يثاب عليه ، بقدر ما

بذل من جهد ، وما أعطى من وقت ، وما قدّم من نية حسنة ، وأكثر .

والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

عبدالعزيز الخويطر

١٠ / ٩ / ١٤٠٩هـ

بلوغ الجامعة سن الثلاثين (١)

الجامعة لها فرحات متتالية لا تنقطع أبدا ، أول فرحة فرحة الإنشاء ثم فرحة انتقال الطلبة من سنة إلى سنة ثم تخريج أول دفعه ، ثم تتالي الدفعات على هذا الاتجاه ؛ ويوازي هذا فرحة عند إنشاء كل كلية ثم فرحة التخريج فيها ؛ وتأتي فرحة إنشاء الأقسام ، وفرحة البحوث ونتائجها ثم مرور ربع قرن ثم مرور نصف قرن ومن عيد فضي إلى عيد ذهبي . والفرحة منها

(١) كلمة كتبت لتوضع في كتاب الوثائق الذي أصدرته جامعة الملك سعود بمناسبة مرور ثلاثين عاما على إنشائها ، كتبت في ٢٣ / ٢ / ١٤٠٨هـ .

وفيها تقسم على البيوت بعدد من يتخرج منها حاملا شهادتها الأولى ثم الماجستير ثم الدكتوراه . هذه لمحة فقط عن الفرحات التي تمر بها جامعة عريقة ، وجامعة الملك سعود جامعة عريقة ، فهي أول جامعة أنشئت في المملكة العربية السعودية ، وعروقها امتدت إلى مناطق الارتواء العلمي العميقة وتمسكت بأرضها تتعاونان على التثبت إحداهما بالأخرى ، وأصبحت مطمح النظر ، ومهوى الإعجاب والفخار .

وكان بدء الجامعة طبعياً ، وهذه صفة المشاريع الناجحة ، كانت هناك الحاجة ،

وجاوبتها الهمة وانضم إليهما الجهد تعضده النية الصادقة الصالحة ، ووفق الله بالإمكانات ، وفتحت الجامعة بعدد قليل لا يكمل فصلا دراسيا واحدا ، ولما قيل لسمو الأمير فهد (الملك فهد) وزير المعارف حينئذ أنه لا يصبح اقتصاديا افتتاح جامعة لواحد وعشرين طالبا ، قال إننا نزرع نخلة لتظلل غداً آلافا ، وإذا لم تكن اليوم اقتصادية فغداً تكون .

إننا لن نبقى عالة على جامعات خارجية تأخذ من خريجي ثانوياتنا ما تشاء وترفض ما تشاء . آن الأوان أن ننطلق بالتعليم ، وهذا خير منطلق .

وحزن أول الأمر طلاب لم تتح لهم كالعادة فرصة الابتعاث إلى بعض البلدان العربية ، ولكن حزنهم لم يطل ، وكانت فرحتهم أكبر عندما تخرجوا وابتعثوا إلى إنجلترا وأمريكا ، واستقبلوا هناك بترحاب أوجبه ما سبقهم من سمعة طيبة لجامعتهم في الأوساط العلمية هناك. وعادوا يحملون الدكتوراه بعد فترة قصيرة بلغوا فيها قصدهم ومناهم ، شعروا منهم في اجتهادهم ومثابرتهم بما كان ينتظرهم من واجب ، يساهمون به في نهضة بلادهم التي خطط لهم دورهم في مسيرتها .

ووقفت ، بعد صعوبة المبدأ في إنشاء الجامعة ، صعوبة إيجاد المقر فحل بتواضع ونظرة عملية ، واختيرت مدرسة بنيت من قبل على الطراز الحديث وجمعت على صغرها الفصول الدراسية والإدارة ومسكن الطلاب ، حتى كان الاستاذ مصطفى السقا - رحمه الله - يذهب الى غرفة الطالب المتأخر في النوم ليوقظه ويحثه ، وتدريجاً أصبح هذا المبنى يعج بالمدرسين والموظفين والعاملين من مختصين بالعمل الدراسي ، والعمل المكتبي والعمل الإداري وشؤون السيارات .

كانت أول كلية أنشئت كلية الآداب ،

وفي السنة الثانية تلتها كلية العلوم . ولم يكن طلاب السنة الأولى أكثر من فصل واحد به واحد وعشرون طالبا ، وكلية العلوم لم يكن حظها من الطلاب أكثر من الآداب ، وكان عدد الطلاب السعوديين فيها في أوائل انشائها قليلا ، وكانت الفصول تكمل بالطلاب غير السعوديين المقيمين في المملكة ، والذين كان لهم فيما بعد مساهمة جيدة في المشاركة في نهضة البلاد .

ثم تتالى إنشاء الكليات : الصيدلة ثم التجارة ثم الزراعة ثم الطب ، هكذا حتى اكتظت الجامعة بعدد الأقسام والكليات .

إنشاء الجامعة في الجزيرة كان خطوة رائدة في طريق التعليم الجامعي غرس الثقة لا في المملكة العربية السعودية لتنطلق في إنشاء الجامعات حتى وصلت سبعا ، ولكن في إثبات عدم استحالة ذلك للأقطار الشقيقة المجاورة التي بدأت تنشئ جامعاتها بالتوالي بثقة حتى آتت أكلها باذن ربها .

وأبرزت صعوبة إيجاد المدرسين في فترة الإنشاء رأسها ، وبذل جهد مضن للاستعانة بالأساتذة من أقطار عربية وغير عربية ، وكانت الفرحة بالعثور على أستاذ واحد لا يعدلها فرحة وكانت الأقسام

أحيانا تهتز فيما لو تعسر العثور على من يسد النقص . واستوجبت الظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد العربية إلى أن استعين بالكفاءات السعودية المؤهلة في الوزارات المختلفة والمصالح الحكومية لسد النقص إصرارا على تحدي هذه الصعوبة ، وكان الهدف أن تبقى الجامعة ، وأن تبقى قوية .

وكان هذا أحد العوامل التي أوجبت أن يبدأ بتهيئة جهاز التدريس السعودي الكفء ، فأرسلت البعثات وبأعداد غير عادية ، وسرعان ما بدأت البوادر تعود حاملة نصيبها من العبء .

كان الهدف أن يكون في كل قسم نواة من السعوديين تكون مهمتها ليس فقط التدريس ولكن معرفة الكفاءات التي يمكن أن يستعان بها في كل قسم ، فنجحت هذه الخطة ، وتطورت مع تطور الجامعة .

هذه هي جامعة الملك سعود بدأت نواة صالحة ، في تربة خصبة ، سقيت بماء زلال ، فأصبحت نخلة باسقه ، آتت أكلها رطبا جنيا . بدأت صغيرة متواضعة ، والأمل أمامها كبير ، فحققت أملها ، وأصبحت قدوة .

وعلى الجامعات في هذا الزمن تقوم الحضارات فتصبغ المجتمع ، وتلبي احتياجه

وتوجهه ، عينها عليه وعينه عليها ، يرعى كل منهما الآخر .

هذه جامعة الملك سعود وكيف بدأت ، أما ما هي عليه الآن فما في دفتي هذا الكتاب لسان بليغ ، وعبارة فصيحة ، وصورة واضحة ، تنطق وتبين .

سدد الله خطوها في الطريق الذي يرضيه ، وأعان القائمين عليها والراعين لها ، ووفقهم ، وأثابهم ، على عملهم .

والله المستعان ، وبه التوفيق .

تدريس العلوم

مقدمة (١)

كل قادر على العطاء في حقل من حقول المعرفة عليه واجب في سد ما قد يكون من ثغرات في مكتبة بلاده . وإذا آمن الناس أن كل عمل جاء بنية طيبة ، وبجهد صادق ، متناهٍ في حدوده ، تجمعت لهم أسباب التكامل المبتغاة للنجاح في هذا الجانب ؛ فالسيل لا يأتي إلا من قطرات ملحة متتالية . ومجهود من هذا ومجهود من ذاك ، تملأ الرفوف بالبحوث

---

(١) مقدمة لكتاب «تدريس العلوم» للدكتور عبدالله بن علي الحصين ، في ١٦ / ٢ / ١٤٠٨هـ .

والدراسات . ثم يأتي يوم نعدد فيه ما ينقصنا لاستحالة تعداد ما أنجزناه كثرة ونوعا .

وإذا ركز كل مؤلف على الحقل الذي يجيده ، واهتم بمحيط اختصاصه ، وسعى لخدمته صادقاً ، ضمن الإتقان مع الكثرة ، وسهولة مسارب الإنتاج ، واستيعاب الجوانب الرئيسة ، والسير حسب الأولويات ، وعدم ترك شاردة تحتاج إلى قيد إلا قيدت ، ولا واردة إلا قومت وصنفت .

وتأتي فائدة هذا البحث التربوي بعد أن ارتفع عدد المدرسين في حقل العلوم ،

فيؤمل أن يجدوا فيه نفعاً ضافياً ، فقد جمعت المعلومات المتفرقة في كتاب واحد ، لا غنى لمدرس العلوم عنه . وقد تبدو فيه بعض المعارف طبيعية ومتوقعة ، أو ليست مجهدة أو متصيّدة ، ولكنها في الحقيقة من باب السهل الممتنع ، لأنها تدور في أذهان الناس متفرقة مبعثرة ، وناقصة أحيانا ، ومبهمة غامضة أحياناً أخرى ، والمؤلف هنا قيد شاردها ، وجمع متفرقها ، وجلا غامضها ، وقدمها مائدة شهية للمتطلع إلى الاستفادة ، مختصراً للقارئ الجهد والوقت .

وقد تكون هذه هي المرة الأولى التي

يقدم فيها باحث على استقصاء تاريخ تدريس العلوم في المملكة العربية السعودية ، ولعله يفتح باباً لكتابة مثل هذا النهج لمواد أخرى لم يطرق بابها بعد ، رغم أنها في حاجة إلى من يلج إلى مراتها ، ويستكشف جنباتها ، ليجلو الغامض ، وينير المظلم ، ويعرّف بما جهل منها ، وعنها ، لتزداد رفوف مكتباتنا بما يكملها مماينقصها ، ولييسر على الظمآن الورد على هذا المنهل ، فيطفئ عطش فكره ، ويبل عروق نفسه بما صامت عنه الأذهان زمناً طويلا .

وإنه لعمل محمود أن يكون البدء بهذه

الصورة الجادة ، عن مادة من أصعب المواد وأندرها عند التفكير في أمر تدريسها ، ولعل هذه الصفة هي التي جعلتها جذابة للباحث ، لأن فيها صفة التحدي ، وتحدي الصعاب من سمات الشباب .

وعند قراءة الكتاب تبرز فائدة الأسلوب المتقن لمثل هذا البحث ، فالمعلومات وحدها أحيانا لا تكفي ، لأنها حقائق تحتاج إلى اللباس الذي يراها به الناس ، ليقبلوها أو يرفضوها ، وكان الأسلوب على بساطته قويا جذابا يشجع على المتابعة ، للخروج بالفائدة المقصودة من البحث .

ولقد نجح أسلوب الكاتب في بيان تطور النظرة إلى العلوم من تطور مناهج العلوم ، وما خصص لها من زمن ، وما رسم لها من خطط تدريس ، مما أعطى إشارة إلى الوعي الحديث الذي بدأ ينمو في هذه الحقبة من سير المملكة سعياً إلى اختصار الفجوة بينها وبين من سبقوها في هذه الميادين .

وكان من نتائج هذا الوعي الاهتمام بالكم والكيف معاً ، للحاجة إليهما . وبرز في ثنايا هذا السير الحثيث عدم نسيان الخلق الذي رسمه الدين ، فكان إطاراً لكل منهج يختط للتعليم والثقافة .

وهذا هدف أساسي ، وبه يمكن أن نبز غيرنا ممن نسوا هذا في معمعة السعي للإنجاز العلمي ، أوضاع في غبار الطراد والسباق المحموم .

وليس أقرب إلى الغيرة على حقل ما ، والاهتمام به ، وإعطاءه حقه من التفكير والعناية والمتابعة ممن هو لصيق به ، ومتخصص فيه ؛ لأن الألفة غالباً ما تتطور إلى هواية ، والهواية تجعل العسير يسيراً ، والصعب سهلا ، والبعيد قريباً ، بسبب المحبة التي تؤدي إلى بذل الجهد ، دون شعور بالتعب أو الملل ؛ بل إن المتعة والانغماس بدون وعي تجعل باذل الجهد

يحس كأنه يثاب بدون كد وجهد ؛ لأن مردود عمله يعطيه من السرور فوق تعبه وإنهاكه . لهذا نجحت الأعمال التي يقدم عليها المرء هواية وعشقاً ، وأخفقت الأعمال التي يساق إليها المرء عنوة ، ويجبر عليها قسراً ، وما لم يفتح الله قلب المرء لعمل بإن المرء يجده غير موائم لذوقه وطبيعته .

ولا أحب على القارئ من أن يرى مؤلفاً في علم يهمه يقوم به مؤلف معه من الوثائق العلمية ما يشهد بكفاءته رسمياً باللقب الذي يحمله ، وعملياً بما يؤكده الكتاب من صحة التصنيف ، ومراعاة

قواعد البحث ، وأصول التأليف . وهذا الكتاب تتوافر فيه وفي مؤلفه هذه العناصر.

جاء الكتاب في ثمانية فصول ، أدرج تحت كل فصل ما انتظم عقده من معلومات تخص ذلك الفصل ، فمن شرح لطبيعة العلم ومعناه ، والاتجاهات العلمية فيه وأهمية دراسة مفهومه، إلى بناء المعرفة فيه ، وما يدخل تحت هذا من عناصر ، تخص الحقائق والمفاهيم والمبادئ والقوانين والنظريات ، إلى حديث عن مناهج العلوم في المملكة العربية السعودية ، وأهداف تدريس هذه المناهج ، وتطورها في فترات

متعاقبة ، وبأجهزة مختلفة . ومن تبيان لأهداف تدريس العلوم بما في ذلك من معرفة وانفعال ومهارة ، وما يناسبها من صياغة ، إلى معالجة لأساليب تدريس العلوم ، وما يندرج تحت ذلك من محاضرة ومناقشة وعرض عملي .

ثم يأتي دور الوسائل التعليمية ، وأسباب استخدامها ، والوسائل لذلك ، الحقيقي منها ، وما يخص العينات والنماذج وغيرها . ولتخطيط تدريس العلوم فصل يعالج مفهومه : أنواعه ، ومكوناته ، وما يمكن أن يقترح لإعداد الخطط اليومية ، مع إعطاء نماذج لبعض

الخطط . ويأتي مسك الختام في تقويم تدريس العلوم ، ومفهومه ، وتطوره ، وتقويم وظائفه ، وأساليب تقويم أنواع التعليم .

وقد بذل المؤلف جهداً في توفير المعلومات في فصول الكتاب ، في حدود التقسم الذي اختاره بما رأى أنه يخدم مجال تدريس العلوم ، وحرص فيما حرص عليه ، على تبيان وجهات النظر فيما كان عليه اتفاق وما كان فيه اختلاف . وأعطى أمثلة فيما يحتاج إلى أمثلة فكان موفقا في هذا ، لأن هذا النوع وأمثاله من التأليف يكمله أن تكون فيه أمثلة تجلو ما قد يجده

القارئ محتملا لجوانب عدة ، أو غامضا في مدلوله .

وكل فصل في هذا الكتاب لأهميته ، ولثراء المعلومات فيه يمكن أن يفرد له كتاب ، فمجال التفصيل فيه واسع ، وحاجة أمثاله إلى ضرب الأمثال ، وإيراد الشواهد ، من أهم ما يكمل هذا النوع من التأليف التدريسي . وفي هذا ما قد يحكي في المستقبل من سير المادة وتدريسها ما لا يقدر بثمن .

ورغم أن كل فصل قائم بذاته ، بما يندرج تحته من معلومات مصنفة متكاملة إلا أن الفصول وحدة أوسع ، فيها من

التكامل ما يجعل أحدها لا يستغني عن الآخر ، ويؤدي إليه ، وهذا يعطي انسيابا يشجع على متابعة القراءة .

ولأن التاريخ يستهويني دائماً فقد وقفت برهة عند الفصل الذي أرخ لخطوات تطور تدريس العلوم . والتاريخ لأي حقل من الحقول من الأولويات فيه ، فبدون التاريخ له يصبح مبتوراً ، ومنبوذاً ، مثل غصن شجرة قطع من أمه، ونقل إلى بيئة لا تعرفه ، فلا طبيعة تلك الشجرة ، ولا ثمرتها ، ولا المحيط الذي يناسبها، ولا الطقس الذي تنمو فيه وتثمر ، يمكن أن يتأكد منه .

فالتاريخ لأي مادة ربط لماضيها بحاضرها ، وتهيئة حسنة لمستقبلها ، يتيح الفرصة لرسم صورة صادقة لتطورها ، ومعرفة الجهد المبذول فيها طوال سنين مضت ، ويزن الجهد مع النتائج . وهو مظهر حضاري يدل على عمق جذور الشعوب التي تتمتع بمنجزات توارثتها وطورتها ، ولا تتوقع أو تقبل أن يتوانى فيها أجيال لاحقة في سلالتها .

والتاريخ المقبول ليس الحقائق الجامدة ، أو المطلقة ، وإنما هو أيضا الأسلوب ، والصياغة ، وطريقة العرض ، وحسن الاختيار في الربط والمواءمة بين الأسباب

والمسببات ، وتحديد النتائج ، ورسم الخطط بدقة ؛ لأن الهدف منه في بعض جوانبه أن يكون الجسر القوي بين الكاتب وقارئه، ليجد فيه الفائدة كلها أو بعضها، والتشويق كله أو بعضه . ونجاح الكاتب ، وتوفير وقت القارئ وشده ، يتوقف على مدى إتقان عرض هذا الأمر .

كم من تاريخ جاف يمر به المرء ، كأنه يمشي على شذر زجاج، يجرح مواطئ الفكر، أو لين هين سهل وطيّ ، يجد فيه الفكر راحته ومتعته ، يغلف هذا كله منفعة مخبوءة ، وفائدة مؤكدة . وكم من تاريخ خلد ما يؤرخ عنه ، وكم من تاريخ

تلاشى في ضباب الزمن كأن لم يكن .

ولهذا اهتم المؤلف بالجانب التاريخي ، فبين نشأة تدريس العلوم وتطورها ، وأسباب كل خطوة في هذا التطور ، لأن ذلك كله يقود الفكر إلى معرفة الخطو الحضاري للبلاد ، في المجالات المختلفة ، ويحدد موقع هذا الجانب في التدريس من إطار هذا الخطو ، لأن المجالات فيه متلاحمة ومتماسكة، والمؤثرات الداخلية والخارجية في أي جانب منه تؤثر على بقيتها تقدماً أو تأخراً .

وبعد .. فقد أوحى لي كل فصل بما لو سجلته لخرجت المقدمة عما هو معتاد،

ولهـذا أختـم بأن أرجو أن يجـد القـارئ في هذا الكتـاب الفائدة التي قصـدها المؤلف، ولا أشك في أنه سيجدها. وأرجو للمؤلف التوفيق، ليتوالى عطاؤه، ويتتابع إنتاجه، في هذا الجانب المهم، ويستمر هذا الإنتاج في حـقل التـدريس، والأمـور التي تتـصل بالتـربيـة، وأرجـو أن يشـجع عـمله هذا غيره، فتطرق هذه الجادة الخيرة، ليصبح عندنا حـصيلة نعـتز بهـا، وتكون في متناول المحـتاج والمتطلع إلى التـزود من المعرفـة.

والله الموفق،،،

الحياة السياسية في القصيم
في عهد الدولة السعودية الثانية
مقدمة (١)

المجال في كتابة تاريخ المملكة العربية السعودية لا يزال واسعاً ، والأمور التي لم يتطرق إليها المؤرخون فيه عديدة ، والعبء الذي تركه معاصرو هذا التاريخ ثقيل باهظ ، لأن الأحداث جسام، والدلائل عليها متفرقة أو ناقصة أو مجملة أو ذهب جزء من لونها مع أهلها ، والجيل

(١) هذه مقدمة لرسالة الاستاذ محمد العبدالله السلمان ، والرسالة عن الحياة السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية .

الحالي أصبح في بعض أمور التاريخ يحتاج إلى شرح ما لم يكن يحتاج إلى شرح، وتفسير ما كان واضح المعنى للمعاصرين له .

وقد قام ببعض العبء في كتابة التاريخ للمملكة قديمها أو حديثها رجال بذلوا الجهد، وأدوا الأمانة في حدود طاقتهم ومعرفتهم وقدرتهم المادية والثقافية، وكفوا مؤرخي اليوم جهداً غير قليل، فجزاهم الله خيراً على ما أحسنوا فيه النية وأحسنوا الصنع، وعلى ما قدموه من قدوة لمن سوف يتصدون للإدلاء بدلائهم، وإكمال ما بدأه سابقوهم .

والأمل اليوم أغلبه معلق بمحيط الجامعة أساتذة ودارسين ، فهم أقرب الناس إلى التأهيل لتحقيق هذا الأمل بما هيء لهم من تخصص، وبما أصبح عندهم من ملكه، وبما توافر لهم من سمعة علمية واحترام عند الناس، فالتخصص ثروة توحي بصدق النتائج وصحتها وبالعمق وبالإحاطة، والملكة تضمن القدرة على التصرف وحسن الأداء وتنظيمه وترتيبه، والسمعة العلمية الطيبة تفتح الأبواب المغلقة، وتسمح بتوطد الثقة التي من ثمرتها السماح بخروج الدرر من أكمامها، والوثائق والمعلومات المخبأة هي درر وأغلى

من الدرر في بعض الأحيان ، وقد يشح بها مقتنيها على محتاجها ، فيتعطل بحث ، وتبتر معلومات ، وتتشوه صور بالنقص والتحريف من جراء هذا ، بل قد يتحقق إثم ، فرجل كتب للتاريخ صفحة أو صفحات في وقت هدّه فيه الهرم ، وأنهكه ضوء المصباح ورجا ثواب الله فيما كتب ، يحجب وارثه عن الناس ما كتب بحجة مفتعلة فيحجب عن مورثه دعوة « جزاه الله خيراً » .

وإذا كانت الأنظار تتجه لرجال الجامعات في المقام الأول فهذا لا يعني أن غيرهم قد لا يأتي منهم الخير في كتابة

التاريخ ، فربَّ هاوٍ خير من مؤهل ، إلا أن أستاذ الجامعة ومن في مستواه عليهم واجب أما الهاوي فمتفضل إلى حد كبير .

هذه كلمات أضعها مدخلا لحديث مختصر عن هذه الرسالة الجامعية التي استجاب بها صاحبها والمشرف عليها للأمل الذي قلت أنه معلق بأبناء الجامعات في كتابة تاريخ المملكة. والدراسة هذه تختص بفترة مهمة في تاريخ المملكة ، لأنها محور دارت عليه أحداث أثرت فيما بعدها ، وصبغت هذه الأحداث حاضرنا بصبغة واضحة .

وميزة الرسائل الجامعية أنها توفر

الأسس الرئيسة للبحث لأنها تسير على منهج معترف به ، لا تحيد عنه إلا إلى ما يحسنه باتفاق أناس متعددين عرف لهم فضلهم في العلم وعمق التجربة وسعتها ، فالطالب والمشرف والقسم والمشاركون في المناقشة ضمان مطمئن أكثر في التأليف الفردي في بعض الأحيان، وضمان دائم للمبتدئ .

والرسالة التي بين أيدينا اختيرلها الموضوع بعد أن ثبتت أهمية الفترة ، وثبتت مناسبة هذه المرحلة في حجمها لبحث بهذا المستوى . وقد بين الجهد الذي بذله الباحث أن هناك من المراجع ما يفي

بحاجة البحث ليأتي متكاملا في الحدود التي رسمت له . هذا الجهد بتعمقه وتشعب المسارب التي تتبعها باذله في المكتبات العالمية يؤكد حسن ظن في اختيار هذه الفترة ومن وافق عليها ومن أعطى هذا البحث في نهاية الأمر الدرجة التي يستحقها .

وتاريخ المملكة يكسب اليوم باحثا جديداً ينضم لركب مبارك بدأ يملأ بإنتاجه رفوف المكتبة السعودية في جانب تاريخها الذي يستحق أن يتعدد فيه الباحثون، وتتعدد فيه اختصاصاتهم .

وخير من يكتب تاريخ أمة أبناؤها ،

لأنهم أعرف بما تحويه خفايا الزوايا ، وعندهم القدرة على معرفة مرامي التعبير ، وتمييز صدى الأحداث ، وهم أكثر الناس تميزا لتفسير أسباب الحوادث ، واستنطاقها ، وتوقع النتائج ، والمتوقع أنهم أبعد الناس عن الزلل والوهم إذا وفقوا للتجرد والابتعاد عن التحيّز .

ومن أولى بكتابة تاريخ بلادنا من أبنائنا فهم أولى بسد النقص ، وأعرف بمواطنه ، وأقرب من يفاخر ويفتخر بالجهد الذي يبذل فيه ، والنتيجة الحسنة يتوصل إليها .

والبحث اقتصر على الحياة السياسية

في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية ، وهي فترة تقرب من سبعين عاما مهد الباحث لها بنبذة جغرافية وتاريخية هيأت الذهن لمعرفة مسرح الحوادث ، وموقعه من الدولة السعودية ومركزها ، وبين حدود القصيم وأهمية المنطقة عموما من موقعها ، وما عليه سطحها ومناخها ، وما كان لها من تاريخ سابق ، وما مر بها من أحداث ، وما مر فيها من ظروف ، لتتوفر للقارئ صورة متكاملة يعيش فيها مع الباحث مع الأحداث وأسبابها ونتائجها .

وبعد هذه التهيئة بدأ **بالفصل الأول**

فخصصه للحديث عن الحكم السعودي للقصيم قبل سقوط الدرعية وبعده ، وجعله **ثلاثة أقسام** كل قسم يعالج موضوعاً لازماً لإعطاء القارئ فكرة تهيؤه لما بعده ، **فأول** هذه الأقسام جاء عن بداية الحكم السعودي للقصيم والمراحل التي مر بها ذلك ، وما شاب ذلك من ولاء ونقضه. **وثانيها** كان عن موقف القصيم من الحملات المصرية التركية على الدولة السعودية الأولى ، وما كمن خلفها من أسباب ، وما مرت به من خطوات ، وما انتهت إليه من وقوع الدرعية في يد إبراهيم باشا . **وثالثها** وصف القصيم

بعد سقوط الدرعية ، وحظّه من الحالة العامة التي وقعت فيها البلاد بعد أن انتقض حكم المركز .

والفصل الثاني ذو ثلاثة أقسام أيضا ، وفي هذه الأقسام الثلاثة تحدث الباحث عن القصيم في عهد تركي ، وجهوده ضد الأتراك وحكم فيصل بن تركي ، وما قام به لتوطيد الحكم وما قابله من صعوبات ، وتحدث الباحث في هذا الفصل عن بعض المظاهر الاقتصادية وملامح من الحوادث المهمة ، ودور الأشخاص المختلفين فيها .

وفي **الفصل الثالث** تحدث عن فترة حكم فيصل الثانية والجهود التي بذلها

للتغلب على المشاكل ، ووضع الأسس لحكم قوي ، وما تخلل ذلك من حوادث ساهمت في تأخير وضع القواعد اللازمة لتثبيت الحكم . ودور القصيم في هذه الفترة في هذه الحوادث .

والفصل الرابع خصصه للحروب الأهلية وموقف القصيم منها ، وهي فترة دقيقة حاسمة في تاريخ هذه الفترة لما تخللها من مواقع حربية، واصطدام بين حكام بعض المناطق ، وما ساهمت به من دور أدى إلى ما أوصل الحالة إلى الصفة التي عالجها الملك عبدالعزيز فيما بعد .

والفصل الخامس وهو آخر الفصول

ومـــهـم بيـنـهـــا لأنه عـــالج نـظام الحكـم والإدارة، فـتـحـدث البـاحث فـيـه عن دور الأمـيـر والقـاضي . وشـمل هذا الفـصل الحـديث عن النظام العـسكري والمالي ، والحياة الاجتماعية ، والحـياة الاقتصادية والثقافية .

من هذا العـرض المختـصـر عن مـحتـوى البـحث يتـبين مـدى الفـائدة التي يجنيـهـا قـارئ البـحث ، المهـتم بمعـرفة هذه الفتـرة ، ومـا حـدث فـيـهـا من حـوادث ، تكوّن إطاراً مـهـمـا للتاريخ المعاصـر في جزيرة العـرب . والجـهـد المضني المبـذول فـيـه سـوف يريح القـــارئ من تتـــبـع مَظَان هذا التـــاريخ ،

فالباحث قد اطلع على المصادر المهمة ، واستفاد منها ، وأضاف إليها ما تفرق من وثائق ، اطلع عليها بنفسه أو استقاها من مصادر بحوث متخصصة .

والفائدة لا تقتصر على هذا ، ولكن تتعداه إلى تسهيل مهمة من يتطلع إلى المزيد أو التأكد ، وذلك بوضع سجل قيّم في آخر البحث ضم خرائط وصوراً وملاحق وثبتا بالمصادر والمراجع المنشورة وغير المنشورة .

وبعد :

إذا كنا نحيي صاحب البحث ونهنئه على ما قدمه فيه فإننا نتطلع إلى المزيد منه

بعد أن جعل هذا العمل جزءاً من اهتمامه، وهذا التخصص اختياراً رضيه لأول شهادة علمية عليا يحصل عليها. وإلى المزيد من زملائه وأمثاله ممن اجتذبهم هذا الحقل أو سوف يجتذبهم.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

في الحظ والغنى والفقر

مقدمة (١)

خُدم الأدب العربي، وتاريخه، خِدمة جُلّى، فلم يترك جانب منه يمكن أن يعالج إلا عولج، أقبل على الأدب علماء قادتهم إليه أقدامهم، وهم ذاهبون في الأساس إلى حقل آخر، غير الأدب، قد يكونون في طريقهم إلى دراسة الدين، أو التاريخ، أو غيرهما، أو توغلوا فيهما،

---

(١) مقدمة لرسالة أدبية موجهة إلى أبي بدر الأستاذ حمد بن عبدالله القاضي، في «الحظ والغنى والفقر» كتبتها في ٩ / ١١ / ١٤١٨هـ، والرسالة من الأستاذ أحمد بن عبدالله الدامغ.

فاكتشفوا الأدب ، ووجدوا فيه ثروة لم يكونوا يتوقعونها ، ووجدوا فيه متعة كانوا عنها غافلين ، فأقبلوا عليه إقبال النهم ، وشربوا منه شرب الهيم الظماء .

هذا فريق ، وفريق آخر بدأ به حياته العلمية ، وعرفه مبكراً ، ورضع لبانه صغيراً ، فأصبح مهنته ، وشُغله الشاغل ، فبرز فيه قراءة ، ومتابعة ، وتأليفا . ذهب إلى مظانّه في البادية ، وفي أسواق العرب ، لا يترك فيه شاردة ولا واردة إلا قيد أوابدها ، فاجتمع من هذا علم غزير ، وحصيلة وافية ، فكان مادة للتفنن في التأليف : أديب يكتب في جانب ، وآخر

في جانب ثان ، حتى أصبح هناك موسوعات أحاطت بجوانب الأدب ، فيها الحصيلة ، وفيها النقد ، وفيها المقارنة والتقويم .

أحصى هؤلاء الأدباء ما قيل ، وتتبعوا قصيد كل شاعر عرف ، وأنشؤا من ذلك دواوين ، بعضها لفرد واحد ، وبعضها لمجموعة، وبعضها واف بموضوع واحد ، لكل شاعر فيه نصيب . فصار هناك أمهات للكتب ، وأمهات للدواوين ، وغطيت أغراض الشعر ، ومناحي الأدب ، حتى كاد لا يبقى مزيد لمستزيد.

وجد هؤلاء الكتاب رياضا ملأى

بالأشجار المثقلة بالفواكه اليانعة ، والخضرة البهجة ، والأزهار الزاهية ، والورود الباهية ، فقطفوا ما قطفوا ، يقودهم ذوقهم ، وتدفعهم ملكة تكونت عندهم مع الزمن ، فتركوا لنا ما نفاخر به الأمم ، ونرفع رؤوسنا على من كانوا سادرين في ظلمات الجهل ، والانزواء .

وأخذ الشعر نصيبه من هذه العناية ، وأخذ النثر مثلها ، وصار لهؤلاء رواد ، ولهؤلاء رواد، ووجد الباحث في الاثنين فكراً منيراً ، وذوقاً عالياً ، وفناً جميلا ، ذا حقول واسعة ، ودروب موصلة ؛ ووجدوا معاني تغوص في أعماق الحياة ،

بأسلوب يهزّ ، ووجدوا خيالا يحلق في الفضاء حتى لا يكاد يطال ، ووجدوا إبداعا في الصور ، وإتقانا للرسوم .

وجاء كاتب اليوم ، وأديب اليوم ، فوجد أن لا سبيل سهلة للإبداع ، فما ترك الأول شيئاً للآخر ، فرأى أحدهم أن يعيش ضيفا كريما على مائدة ملأى بما لذ وطاب ، ووجد الوِرْدَ على حوضها كثيراً ، والازدحام حاراً متدافعاً ، فحاول أن يجد ثغرة يمد يده من خلالها لهذا الطعام الشهي ، والماء العذب ، فأخذ ما استطاع أخذه ، وتمتع بما أخذ ، وجاء يُري الناس ما حازه، ويطلب منهم أن يشاركوه هذه

المتعة، ووجد أنه لم يدخل من ثغره، وإنما من باب واسع .

هذا ما فعله الأستاذ أبو عبدالله أحمد ابن عبدالله الدامغ ، غاص في كتب الأدب، ودفن رأسه فيها طائعاً مختاراً ، فاجتذبته إليها ، وأطبقت عليه جوانبها ، فلم يعد باختياره أن يخرج منها مختاراً كما دخلها مختاراً ، ووجد جوانب يمكن أن تستغل، ونوافذ يمكن أن تفتح، فاستغل وفتح، وجاءنا بحصيلة رأى أن يجعلها بضاعة مزجاة، واختار لها ثوب عرضٍ بهيج، وعلقها على مشجب بارز مضيء .

لقد وجد أبو عبدالله مكاناً فسيحاً

على مائدة الأدب ، التي أعدها السابقون ، فلم يجلس على الهامش فيها ، بل جلس متربعا عليها على عرش ، وأخذ يمد يده على ما طاب من بقلها وقثائها ، ولحمها وشحمها ، وطيِّب محتواها ، حتى امتلأ عنده ما أراد له أن يمتلئ ، ورأى أن يصوغ من زهره عقوداً يعرضها في سوق وقتنا هذا ، سوقٍ لن يجد فيه إلا المختصين ، ولكن البركة نازلة في هذا القليل .

لقد حاول بما قدم أن يجتذب القارئ ، وأن يشده وأن يريه مما لم يعرف ، أو ما لم يكن عنده وقت لمعرفته ، واختار الثوب الذي اعتقد أنه ملائم لما جاء به ، وفيه من

الجاذبية ما يضمن الاستفادة منه ، والانتفاع به .

سوف يتنبه القارئ لهذا الاختيار ، وهذا العرض ، ويجد فيه ما أمل كاتبه أن يجده فيه .

أبو عبدالله أحمد الدامغ صَاحَبَ الشعر ، فصيحه وعامّيه ، مصاحبة هاوٍ ، فأصبح صاحبه وخد ينه ، وأصبحا قرينين، لا يفترقان ، تجلس معه دقائق ، فيميل بك ، ويقتاد راحلتك إلى روض أغنّ منه ، يدخلك إياه ، فلا تريد الخروج ، وكيف تريد ذلك ، وأنت تجد الفائدة ، والمتعة ، والراحة من وعثاء السفر في العمل اليومي

المضني .

لأبي عبدالله مؤلفات عديدة في الشعر، وحول الشعر ، وفي رياض الشعر ، وشعابه ، بعضها رأى النور ، وبعضها ينتظر ، وهو يعتمد فيه كثيراً - وهذا صواب - على طريقة العرض والإبداع فيه، وهذا هو السبيل لجذب القارئ ، وجلبه لهذا العرض المزجَى، وعلى هذا فعنده كثير من المؤلفات المخطوطة لا تزال تنتظر دورها في النشر ، كما صرح بذلك في إحدى مقابلاته ، ولعل هناك أولويات تخضع لها هذه المؤلفات ، فيسبق بعضها بعضا في الظهور ، وهذا الكتاب ، الذي

بين أيدينا ، يبدو أن فيه من السحر لكاتبه ما جعله يشق الصفوف، ويخرج إلى النور، وقد يكون محتواه هو مصدر السحر، وقد يكون المخاطب به هو الساحر، وقد يكونان معا . لنا التخمين في هذا وللمؤلف اليقين ! .

على أي حال ، هذا هو الكتاب بين أيدينا ، نأخذه دون أن نبطئ الوقفة للبحث عن أسباب سبقه ، فالقارئ في حاجة إلى أن يلج اللجة ، ويسبح في المحيط ، بدلا من أن ينفق وقته في الماء الضحل .

فما في الكتاب ؟ وما هو عنه ؟ وما لنا

عنده ؟ وما هو منهجه ؟ وما هو أسلوبه ؟ أسئلة كثيرة تأتي في الذهن لا يجيب عنها إلا الكتاب نفسه ، وقراءته بتمعن ، وحدب ، ولنأخذ سؤالا واحداً من هذه الأسئلة نجعله نموذجا لما يمكن أن نجده تحت كل سؤال . فالمنهج يكشف عن نفسه من أول وهلة ، فقد اتخذه المؤلف مماثلا لبعض ما اتبعه الشعراء في القديم ، وما يتبعه الشعراء العاميون في الحديث ، ويكثرون منه ، وهو مخاطبة الشاعر لصديق حميم، يبثه ما في نفسه، ويكشف له في المخاطبة ما لم يكشفه لغيره ، و«يُسَنِّد» عليه ، كما يقول التعبير العامي.

وقد اختار المؤلف لهذه المخاطبة شخصا محبوبا ، عرفه الأدباء ، والمفكرون ، وأحبوه ، لدماثة خلقه ، وسمو أدبه ؛ وهي أمور تظهر في التعامل معه ، والحديث معه، ومجالسته ، ومشاركته الصحفية المتواصلة ، وإسهامه في جوانب التوعية المختلفة في وسائل الإعلام ، وفي مجلته : «المجلة العربية» ولم يكن هناك خير من هذا الرجل يوجه إليه الكلام ، الذي يتحدث عن جوانب عن المجتمع وصالحه، فهذا حقله، وهو حقل شريف ، وطالما جال فيه، وخاض فيما فيه صلاح الناس ، فيه عالج أموره بوعي ، وتحدث عن ظواهره بإدراك ،

إذاً لا غرو أن يختاره المؤلف لوحة مشرقة يضع عليها أفكاره ، ويشركه فيما ارتآه ، مما يعتقد أن فيه فائدة للناس، مشيراً إلى أنه مثله في لمس أمور المجتمع، وإن كان لا يتطاول إلى منزلته، وفي هذا يقول :

« يا أبا بدر ، أحسّ أن يدا تدفعني نحو معانقة ذوقك، وأدبك، وخلقك، ولكن أنّى لي ذلك »

ويستجمع أبو عبدالله أفكاره ، فيبدأ بمقدمته سامحا لبعض أغراضه من الرسالة أن تطل برأسها ، فيبدأ التحية ببعض أبيات يمهد بها خطوهُ ، وينبه الأرض التي يسير عليها أن جادّة عميقة سوف تحفر

عليها ، ترسم الحظ ، والغنى والفقر ، في صورة أشعار يعارض بعضها بعضا ، ويجادل بعضها بعضا ، ويخالف بعضها بعضا ، تأتي في هيئة عراك ، أحيانا فيه الحق ، وأحيانا يحاول الباطل فيه أن يغلب ، ويبقى الأمر في النهاية للقارئ وظروفه ، فإن كان صاحب حظ رجح الحظ ، وإن كان غنيا قبل ما مدح به الغنى ، وهكذا ينتقل النشاط من قول الشعراء ، ماراً بالمؤلف ، منتهيا عند القارئ .

والمؤلف يبين أن هذه المخاطبة ليست أول مخاطبة له ، بل كان له مخاطبات مع أناس وجد أن للقول صدى في نفوسهم ،

لتناغم ما خاطبهم به مع ما يعتلج في نفوسهم ، لأنهم أصدقاء ومعارف أوفياء ، يقول عن هذا في أول كتابه :

« ومن نعم الله عليّ أنني من تلك الطائفة ، فأصدقائي كلهم - والحمد لله - فضلاء ، ومعارفي - ولله المنة والفضل - أوفياء ، ولهذا ، فإن كل واحد منهم يستحق ، من حيث التقدير الأدبي ، رسالة كهذه الرسالة المحبرة لأبي بدر ، وقد فعلت ذلك مع بعضهم ، حيث حررت لهم رسائل ، ذات مواضيع معينة ، اجتنيت لهم فيها بعض ثمار الأدب ، الذي أطربني، حينما قرأته في مصادره » .

ولكنه ميّز أبا بدر عن الأدباء الآخرين، فجاء بالرسالة مطولة ، وحملها بثمار أكثر مما حملت الرسائل الأخريات . تُرى هل جاء هذا من زيادة محبته لأبي بدر ، وله الحق كل الحق في هذا ، أو أن الرسائل السابقة ، أعطته تجربة ومرانا ساعداه على تميز هذه الرسالة ، فانتقاها ، وأطالها ، يقول عن تلك الرسائل :

« ولكن أيٌّ منها لم يكن بالطول مثل هذه الرسالة ، التي كانت من نصيب أبي بدر ، حمد بن عبدالله القاضي » .

ويقول ، مشيراً إلى أن هذه الرسالة هي الخامسة عشرة ، وهي التي اختار لها

أن تأخذ طريقها إلى النشر ، فأصبحت الميزة ميزتين، ميزة الطول، وميزة النشر:

« فكانت هذه الرسالة الأدبية، التي أخذت الرقم الخامس عشر، من بين الرسائل الأدبية ، التي كانت من نصيب عدد من أهل الفكر ، وأصحاب القلم، وذوي الأدب، من معاصريّ، الذين أفرغت في ساحتهم الرحبة بعضا مما يخفف ثقل ما يلامس واقعي، من حصيلة قراءتي لبعض كتب التراث الأدبي ، وغيرها من كل ذي قيمة أدبية » .

وهو بهذا التعبير ، يكشف عن أن هناك معاناة ، يقاسي وقعها ، فيجد الراحة

في بعض ما يقرؤه من شعر ، فكأنها تصف حاله ، أو ما يعتقده ، فيأخذ هذا البيت ، أو هذه القطعة من الأبيات ، فيصب ذلك في أذن صديق ، فيشعر أن راحته قد اكتملت ، وأن معاناته قد انتهت ، وأن مقاساته قد زالت ، وأن جرحه قد اندمل ، وأن الأفق قد اتسع بعد أن كان ضيقا ، ومضيئاً بعد أن كان مظلما . تُرى ، مرة أخرى ، هل بعض هذا من سوء حظه ، أو من عدم غناه ، وأدى إلى عدم نشر كتبه ، التي أرهقها العضل ، وران عليها الكبت والغبار ! !

وكما قلنا مخاطبة الصديق للصديق ،

وبث الشكوى أمر أحبه بعض الشعراء في الماضي ، وأغرم به شعراء العامة في عصرنا هذا ، ولا تخلو دواوين هذا النوع من الشعر من مخاطبات متكررة ، لأصدقاء حقيقيين أو متخيلين يخاطبهم الشاعر ، ويناجيهم ، ويبثهم شكواه. وهذا موضوع أصبح طريفاً ، وتكراره ، والمثابرة عليه ، واختياره ، يجعله يدخل دائرة الظاهرة ، وهي ظاهرة تستحق أن تدرس ، ويحدد فيها الجانب المادي، والمعنوي، والنفسي، فلو أعطيت الالتفاتة الحانية ، من أحد الدارسين المتخصصين ، لخرجنا بما هو طريف ومفيد .

هذه لمحة عن المنهج ، أعطيناها مثلا يمكن أن يقاس عليه غيرها من أسلوب ، وفكر ، وغير ذلك ، وهذه النظرة إلى المنهج أوحى بها اختيار المؤلف مخاطبة أبي بدر، وناسب أن تكون مستهل الحديث عن هذا المؤلف ، وأن يفتح بها الباب للتطرق لجوانب أخرى ، ممن يستطيع أن يوقف عليها وقتاً وجهدا .

والكتاب فيه ما يقرب من تسع مئة وأربعين بيتاً من الشعر ، ليس فيه بيت واحد إلا وفيه فائدة ، فهذا البيت متميز في معناه ، وهذا في فكره ، وهذا في الصورة التي رسمها ، وهذا في الخيال ،

الذي حلق فيه ، وهذا في الأسلوب ، الذي اختاره ، وهذا في المنحى الذي ارتضاه ، وهذا في النهج الذي اختطه .

وقد حصر المؤلف حديثه في الأبيات التي تتحدث عن الحظ : وُجُودِه وعدمه ، حسنه وسوئه ، وتتكلم عن الغنى وعن الفقر ، وما قيل في مدح هذا وقدحه ، وما قيل في مدح هذا وذمه . تجاذب الشعراء القول ، وما تركوا في القوس منزعا ، ولا في الكأس مترعا ، جاؤا بالشيء ونقيضه، وصفوا هذا بالنور ، ووصفوه بالظلمة ، رضي بعضهم عن هذا ، وسخط غيرهم عليه ، قالوا في هذا الحق عندما رضوا ،

وقالوا فيه الباطل عندما سخطوا ، جعلوا الأمر في الذم والمدح متساوياً أحيانا ، ورجحوا جانباً على جانب أحياناً أخرى .

ولا يشفى الغليل عما قيل إلا قراءة الكتاب، والانتقال بين أزهاره ووروده ، والعيش مع الشعراء ، وشعورهم ، وما كانت عليه أنفسهم عندما قالوا ما قالوا؛ وقد أحاطوا بالمعاني ، حتى أصبح كل صاحب حالة يجد في بعض ما قالوا ، ضالته ، وما يريحه ويعزيه .

وبعد : إذا قلت أيها القارئ الطموح : «ليت أبا عبدالله وضع مراجعه ، لتزيد الفائدة ، ويعم النفع ، ونقترب من

التضاريس التي قضى وقته يتنقل بين سهولها وهضابها ، ووهادها وسفوح جبالها ، وبين رمالها وحجارتها » . قلت معك « ليته ». إلا أني أذكر إحقاقاً للحق، ووضعاً للأمور في نصابها ، أن هذه رسالة، والرسائل عادة لا تُحمَّل بالهوامش، ولا تُثْقَل بالتعليقات والحواشي ؛ ولها طبيعتها ، وما تحتويه إنما هو ذوب الذاكرة، ووحي الساعة خاصة وأنّ حَافِظَ البيتِ ، وجامعِ الشعر ، إذا كان هدفه الأول المتعة يذهل عن أي شيء عدا البيت وما في داخله من معنى ، وفكر، وأسلوب، ومنهج ، ومرامٍ ، إلى غير ذلك

مما قد يحويه ؛ وهذا ما جعل كثيراً من الأبيات في أمهات الكتب لا تنسب ، أو تنسب خطأ ، أو تنسب إلى شخص بعينه بتردد ، وعدم يقين .

هذا وبالله التوفيق .

عبدالعزيز الخويطر

٩ / ١١ / ١٤١٨هـ

التربية والتعليم (١)

تعودنا أن نقدم التربية على التعليم عندما نريد أن نتحدث عنهما معاً ، لأن هذا ، أولا أخف على اللسان ، وثانيا لأن التربية تبدأ قبل التعليم ، وثالثا لأن التعليم داخل في التربية منذ بدئها مع الطفل ، فإذا ربيت الرضيع على نظام معين للرضعات فأنت علمته شيئا كان بالإمكان أن يتعود على غيره .

والتربية والتعليم في مراحل لاحقة

---

(١) مقدمات كتاب « التربية وسياسة التعليم » تأليف الاستاذ محمد بن ابراهيم بن محمد الدريس . الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م ، دار ابن الجوزي .

متلازمان لا يكاد أحدهما يفارق الآخر، ولهذا صار لهما أهمية في سعادة المجتمع - بإذن الله - إذا أتقنا، وربما شقاؤه إذا لم يتقنا أو أهملا البتة.

والحديث عنهما يطول لو أردنا أن نرجع إلى تاريخ التربية والتعليم عند الأمم في الحقب الماضية، وتاريخهما لدى العرب والمسلمين، وما حديثنا اليوم إلا عن التربية والتعليم في زمننا الحاضر، نظريا وعمليا، ما نبع من أصولهما ومبادئهما من ديننا وواقعنا وإمكاناتنا المختلفة، وما أخذناه اختياراً من غيرنا وما غزانا غزواً وفرض نفسه علينا تسللا أو

تسلطا ، وما اختلط من هذا بذلك ، وما انعزل منه وأخذ جانباً منفصلاً .

والحديث عن التربية والتعليم في هذا القرن كتب فيه ما لا يكاد يحصى من الكتب والنظريات ونتائج التجربة العملية ، وكان السابقون في هذا هم رجال التربية والتعليم في مصر ، وما يكتب اليوم هو عن جانب محدود ، وغالباً ما يكون مرتكزاً على جانب من جوانب تجربة توبعت حتى بدا فيها ومنها ما يوجب الكتابة ، وكل معلم مخلص مفكر متابع يجد أن لديه ما يدلي به ، ويشعر أنها أمانة لابد أن يقدمها .

وكتاب « التعليم ورسالة التربية : عرض وتحليل » ، للأستاذ محمد بن إبراهيم بن محمد الريس مختصر مفيد ، لا يستغني عنه المدرس اليوم ، ففيه لمحات سريعة ثاقبة عن جوانب مهمة . والاختصار فيها هو أحد مصادر قوتها ، والاقتصار أحد جوانب جاذبيتها ، وقد تحرّى فيه كاتبه ما لمس أن المدرس في حاجة إليه .

لقد اشتمل الكتاب على ثمانية فصول عالج كل فصل جانباً من الجوانب التي رأى الكاتب أهميتها . ففي الفصل الأول تكلم عن التعليم والتربية (اختار أن يقدم

التعليم على التربية) وتحدث عن مدلول كل منهما وما له من منهج وهدف يميزه عن الآخر ، سواء كان ذلك في التحصيل أو السلوك ، أو في الخطط والبرامج ، وأساليب التنفيذ والإشراف والمتابعة.

وتكلم في هذا الفصل عن المفاهيم العامة للتعليم والتربية معرفاً التعليم وأنه رسالة يقوم بها المعلم ليوصلها إلى المتعلم وما يحكم ذلك ، وما يلزم لإتقان هذا العمل من طرق ووسائل .

ويلتفت في هذا الفصل إلى التربية ، فيوفيها حقها في هذا الجانب ، ويبين التفاوت في تعريفها ، ووجهات النظر

المختلفة نحوها ، فمن قائل أنها عملية التناول الواعي ، ومن قائل إنها عملية النمو التي يمر خلالها الإنسان ، ومنهم من يقفز إلى أنها عملية صلاح الإنسان في هذه الحياة ، ويصل المؤلف إلى أنها التطبيق العملي والسلوك لما يتعلمه الفرد . ويصل بعد هذا إلى قول موزون وهو : أن التعليم شيء والتربية شيء آخر . وأن مما لاشك فيه بأن التربية هي الناتج الطبعي لعمل التعليم .

ويأتي في هذا المجال بآراء قيمة تضفي على بحثه ما يجعله يستحق التبصر والتدبر ، ويركز الحديث عن التربية كما فعل مع التعليم ، وسوف لا أدخل في

التفصيل ، وأترك القارئ يتمتع بما تمتعت بقراءتـه .

وفي هذا الفصل يختم بالمشاريع التربوية ، والمشاريع التربوية مما اعتنت به التربية الحديثة ، مما لم يكن متوافراً من قبل في الأزمان الغابرة ، مما جعل التعليم يخطو خطوات ثابتة أكثر من ذي قبل ، ويردف بالمشاريع الخبرات الفنية التي بدونها لا يستفاد من المشاريع الفائدة المتكاملة ، ويعطي أهمية للربط بين الخبرات الفنية وبين القائمين على التدريس ، حتى لا يأخذ كل واحد منهما اتجاها يختلف عن الآخر ، فيضيع كثيراً من الفائدة المرجوة من المشاريع الحديثة بما

فيها من إمكانات أصبحت لا تحد لكثرتها وسرعة تطورها .

ولو أعطيت نفسي هواها في استعراض الفصول الثمانية لأصبحت المقدمة كتاباً ، وخَرَجَتْ بهذا عن طبيعتها ، ولهذا أكتفي بما ألمحت إليه لما ورد في هذا الفصل وهو لمحة لا تفصيل فيها كذلك ، ولا يوفي الكتاب حقه إلا أن يقرأه مقتنيه قراءة متأنية دقيقة ، فالفائدة الكاملة تكمن في هذا ، لأن الكتاب يعد مرجعاً مختصراً لكثير من الأفكار التربوية .

والله الموفق ،،،

عبدالعزيز الخويطر

٧ / ٤ / ١٤٢٤هـ

قراءة في كتاب « بين بيتين » (١)
أحمد بن عبدالله الدامغ

يقبل الإنسان على قراءة كتاب حتى يتمّه ، لأنه يجده جديداً في بابه ، أو طريفاً في موضوعه ، أو يجد أن في إخراجه ما يختلف عن غيره في حقله ، أو يجد فيه من الكمال ما غطّى على نقص غيره ، أو فيه من التصحيح ما رقّع خلل كتاب آخر في مادته . وبمعنى آخر يجد فيه ما يضيف جديداً ، أو يأتي بنفع ، ويسقط الطير حيث يلتقط الحب .

---

(١) نشرت في الجزيرة في ٢٩ / ١٢ / ١٤١٠هـ في العدد ٦٥٠٥ .

وفي هذا الأسبوع قرأت كتابا للأستاذ أحمد بن عبدالله الدامغ ، اسمه : « بين بيتين » ، توافر فيه مما قلت : الجدة في اختيار الخطّ الذي ابتكره ، والنسق الذي ارتضاه . فقد بنى كل مقالة فيه على بيتين، أحدهما في أول الحديث والثاني في نهايته ، أولهما فتح للموضوع ، وثانيهما اختتام له ، وبين الاثنين من الصلة ما يجعلهما قوسين محكمين شدا بينهما رأيا يهم الكاتب ، ويشغل باله ، صب فيه فكراً ، أو تجربة ، أو حصيلة ثقافة ، بعبارته المعروفة بالجزالة ، وتوخي الكلمات الفصحى ، بالأسلوب المقبول

الذي اعتدنا عليه من الكتّاب الذين عرف عنهم الجد والحرص على اللغة ، والأسلوب المتفق عليه . لا شذوذ ولا انحراف ، ولا التواء ، ولا غموض ، ولا تقعّر ، ولا إلغاز ولا إلماز ، نصب جسوره من فكره إلى فكر القارئ قوية ممهدة سمحة مريحة ، فانسابت الفكرة منه إلى قارئه متتابعة بطمأنينة وهدوء ، حتى استقرت في ذهن كان متشوقاً إليها ، مقدراً لها ، حريصاً على إكرامها بوضعها في ذهن لا يستقر فيه إلا شريف الأقوال .

والكاتب يبدو أنه بذل جهداً ليس بالقليل لا في التنقيب عن الأبيات ، ولا

في الزمن الذي لابد أنه أنفقه في التتبع والتدبر والمقارنة بين هذه الأبيات حتى استقام له أن يرسم صوراً لما يشغل باله في المجتمع الذي يعيش فيه ، ونجاح الكاتب هو في إتقان الصور التي تساعد القارئ على التصور ، وعلى الاختزان ، ثم زيادة الاستفادة بالقياس ، والسير على النمط ، والريادة فيما بعد أو التتلمذ .

وقد كشف هذه الأبيات ، والطريقة التي استفيد بها منها ، أن هذه طريق يمكن أن تُسلك فيُؤتي فيها بما يبدع ، وباب من ولج منه فسيأتي إلى رياض غناء ما عليه إلا أن يقطف فيشم ويأكل . لهذا فالأمل

أن يستمر الأستاذ أحمد في متابعة المزيد في أجزاء تلي هذا ، فقد نجح في استنان طريقة هذا بدؤها ولا نهاية لها ، ولعل غيره أيضا أن يساهم ، فالميدان ليس حكراً ، وفي رأيي أن رفوف مكتبة البلاد العربية تشكو من ثغرات لا تُملأ إلا بمثل هذا النوع من الكتب . وإن كان الأمر يحتاج إلى زمن ، وإلى جهد ، فليس هذا مما يعيق إذا استمر الأمر ، وتتابع من أكثر من شخص ممن عندهم الملكة ، والرغبة .

إن من يقرأ البيت الأول يتشوق إلى البيت الثاني ، ويتطلع إلى ما بين الحاصرتين، كيف عالجه الكاتب، وما هي

الأفكار التي أوحى بها هذان البيتان للكاتب ، وما هي الأفكار التي اختارها وفضلها عن غيرها مراعاة لضيق المكان الذي قيّد نفسه به ، ومن قرأ الكتاب يدرك مدى تداعي الأفكار على ذهن المرء ، من ذكر آيات قرآنية لها صلة بالأمر ، أو أحاديث نبوية أو حكم وأقوال مشهورة وأمثال ، بل وأبيات أخرى ، هذا إضافة إلى ما قد يولده ما كتب في الذهن من أفكار جاءت نتيجة الاحتكاك ، أو كانت سببا في تذكر ما أبعد في الذاكرة ، وغاص في ثنايا الذهن أو أعماقه. وأنا أقرأ ما كتبه عن سوء أدب الجليس (صفحة ٤) عن

الرجل الذي أوسع لآخر مكاناً في مجلس سليمان بن عبدالملك ، فقال سليمان : ما أعظمها من يد ! وأحسنه من معروف ، وما ضاعت يد أودعها رجل رجلا . تذكّرت ما حدث قبل نصف قرن أو يزيد قليلا عندما قام رجل عظيم في مجلس حاكم لآخر عظيم في قومه ، وأجلسه مكانه ، فرد المتفضل عليه بكلمة مشهورة «الله لا يقطع " ذرّ " الشجرة التي منها» لم يقلها الحاكم هذه المرة وإنما قالها المتفضّل عليه . واضطر من لم يقم لهذا الداخل أن يقوم للمتفضِّل لأنه يستحق أن يُفسح له ويقدّم .

وبمجـــرد أن قـــرأت العنوان «الصـــوت العذب» (٢٢) وبدأت البيت الأول :

(لو ناحت الأعصم لا نحل لها
طوع القياد من شماريخ الذرا)

تذكرت ما كنا نسمعه ونحن صغار من أن هناك أماكن بين جدة والمدينة يكثر فيها القمري أو اليمام يصيدها الصائدون على صوت الناي أو السمسمية ، وسبح خيالي عن مدى صحة ذلك ، ولكن الادعاء هـذا لا يصل إلى خيال الشاعر في أن الصوت العذب الذي ذكره ينزل العقاب من وكرها في أعلى ذرى الجبال .

وعنـدمـــا رأيت العنـوان : « من أدب

المجلس» (٢٤) ، ورأيت بيت خالويه :

(إذا لم يكن صدر المجالس سيد

فلا خير فيمن صدرته المجالس)

تذكرت الواقعة التي حصلت لبسمارك، عندما أراد أن يهينه الملك المضيف ، فأجلسه على مائدة فرعية ، وقال متظاهراً بالاعتذار إنه لم يبق مكان على المائدة الرئيسة فرد بسمارك بقوله : إن المائدة الرئيسة هي التي أنا عليها .

ولم أقرأ في هذه المقالة إلا أسطراً حتى رأيت ما قاله أبو هريرة عما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم « مثل الذي يجلس فيسمع الحكمة من غيره ، ثم لا يحدث إلا

بشر ما سمع، مثل رجل أتى راعيا فقال له: أعطني شاة من غنمك، فقال اذهب فخذ خيرها، فجاء فأخذ بأذني الكلب الذي مع الغنم» . فتذكرت ما حدث للشاعر ابن الجزار، عندما رفعه شعره إلى بلاط السلطان في مصر، فاشتاق يوما إلى زملاء المهنة، وراح ليزور أحدهم، وجلس عنده، وعندما هم أن يقوم أحب أن يشتري لحماً، فقال له الجزار: «قم واقطع من اللحم ما يحلو لك» فاقتطع أسوأ ما في الخروف الذي أمامه، فعجب الجزار من الشاعر وأبدى له عجبه واستغرابه، فقال الشاعر: «لقد نويت أن أقطع خير ما فيه،

فلما وقفت أمامه أدركتني لآمة الجزار، وحسبتني بائعاً لا مشترياً، فغششت نفسي».

وعندما رأيت العنوان : «التحذير من سؤال الناس» (٥٧) وقرأت ما تحته ، وغرقت في بحر لجي من الأفكار ، أوصلني موج منها إلى أن السؤال قد يفقد المرء الأصدقاء ، وتذكرت قصة أو قصصا لعبداللطيف باشا المنديل ، رجل من رجال العراق البارزين ، ومن عقلاته ، ولثرائه يأتي إليه بعض الفلاحين من أصدقائه يطلبون منه قرضا ، يصل مبلغه أحيانا إلى خمسين ديناراً ، فيعطيه عبداللطيف

عشرة دنانير هبة منه، وعندما يرى الاستغراب ممن حوله يقول: «إني أعطيته القليل حتى لا أفقد صحبته ، لأني أعرف أنه لن يستطيع أن يعيد هذا القرض الكبير، وإن طالبته أحرجته ، وإن ألححت آذيته، وان تعاميت صد عني ، وانقطع عني» ، وأنا أقرأ البيت الذي ورد تحت عنوان: «طول العمر لا يقاس بعدد السنين» . (٧٨)

(إذا ما روى الإنسان أخبار من معنى
فتحسبه قد عاش من أول الدهر)

وما كتبه الأخ أحمد تحت هذا الباب، جاءت في ذهني قصة التقاء جيشين

ألماني وفرنس في العصور الوسطى على الحدود ، ودارت معركة عنيفة انتصر فيها الجيش الألماني انتصاراً باهراً ، وآب بالنصر والغنائم ، ومع هذا فقد طلب القائد الفرنسي بعد ذلك من نافخ البوق أن يعزف «نشيد النصر» الذي تجمع على صوته أفراد جنده وفلول جيشه ، ولما سأله سائل - له دالة عليه - عن تفسير ما طلبه مع أنه مهزوم، قال : «هذا للتاريخ» . وهو يؤمل أنه إذا كُتب في التاريخ أن الجند تجمعوا عندما ضُرب «مارش» النصر ، فلابد أن يكون هناك نصر ، واذا كان هناك نصر فلابد أن هناك هزيمة، ومادام أن الفرنسيين

هم الذين أتوا على صوت بوق النصر ، فلابد أن الألمان قد انهزموا ، وهكذا حكم التاريخ وحكم المؤرخ ، و«يحيا الاثنان التاريخ المزور ، والمؤرخ المزور ! !» .

مسكين التاريخ . وعندما رأيت قول الشاعر البهاء زهير :

(ألا إن عندي عاشق السمر غالط

وإن الملاح البيض أبهى وأبهج)

تحت عنوان : «ليست الملاحة في البيض والسمر ، وإنما الملاحة في كل مكان»

(٨٢) تذكرت الخاطبات في زمن جداتنا يركزن على البياض ، وحتى إن ذكرت ميزات أخرى، عدن للبياض، وأكدن

وجـوده في المخطوبه. ترى هل يرجح هذا كـفـة من الكفـتين اللتين ملأهمـا الأسـتـاذ أحـمـد بما تحـصل له من أقـوال ، أم أن خـاطبـات الغـرب ، عندمـا كـان هناك خاطبـات ، كن يمدحن المخطوبة بالسمـار ، وأن كـلا يدلل على بضـاعـة نادرة عنده وبكن جهـيـزة قطعت قـول كل خطـيب ، فالقوس القافل في هذا المقال يقول :

(إن المليح مليح يُحبُّ في كل لون)

والمنهج الذي انتهجه الأستـاذ أحمد في حصر ما أراد معالجته بين بيتين ما هو إلا وسيلة مبتكرة لعرض أفكاره التي أراد بها

رسم معتقده في إبعاد مجتمعه من الرذائل، وحثها على الفضائل، مبرزاً لبعض المواضيع التي لابد أنها كانت تشغل حيزاً من تفكيره ، ولو أردنا تتبع هذه الأفكار ، ومدى الأولويات بينها في ذهنه، وقمنا باحصاء لرؤس المواضيع التي سطرها عناوينا لمقالاته ، لخرجنا بنتيجة واضحة ، إذا اعتمدنا على عدد المواضيع التي تدور حول أمر واحد بعينه فمثلا :

لابد أن ذهنه كان منشغلا بأمر الجليس، وما ورد عن ذلك في الأدب والتاريخ ، وما قد يكون جال بذهنه عنه مما

رآه بالتجربة في مجتمعه ، مما وجد معه أن المفيد أن يظهره مبرزاً الماضي حتى يصله بما يعرفه الناس ، فهو يتحدث عن سوء أدب الجليس صفحة (٢٤,٤) ومن منا لم يمر به شيء من هذا في وقت من الأوقات . وعن حقوق الجليس على جليسه (١٥٨) واذا كان سوء الأدب في المجالسه نفياً فالحقوق إثبات ، واذا كان ذاك سلبا فهذا إيجاب . ويتحدث عن مكان المرء في المجلس (١٥٧) وهو حيّز الجلسة وإطارها الجغرافي ، حتى الكتاب يذكر بأنه خير جليس (١٧٢) .

ومما كرر الحديث عنه سؤال الناس، وما

يتصل به من معايب ورذائل ، وما يحويه ويتفرع منه من أنواع بما في ذلك التسول ، ومع هذا فهو يتحدث عما لا يحسن بالمسؤول من رد السائل (٨٥) ويفصل في السائل والمسؤول (٨٦) وحقوق السائل والمسؤول (٩٠) ، ومعاودة السؤال (١٠٥) ولطف السؤال (١٠٦) ، وعندما يحكم ظرف من الظروف ، ويدعو العوز إلى السؤال (١١٧) ويتحدث عن ذل السؤال (١١٨) وذم السؤال (١١٩) ، ويبين أن كسب اليد أطيب المطاعم (١٢١) ويحذر من سؤال الناس (٥٧) ويشيد بالاستغناء بالعمل

عن الناس (١٠١) وكل موضوع من هذه المواضيع يجلس على رأسه بيت مشيد الأركان، له شرفات تشهد للشاعر بقوة الشعر، وإصابة المعني، ويجر الموضوع في ذيله بيتا مثله، بينه وبين ما على الرأس رابطة رحم أو قرابة رضاع، استطاع الكاتب أن يحكم التناسب بينهما ويصل هذا الرحم، ويبر هذه القرابة.

ثم يبرز موضوع الغنى والفقر، ومن عاش في هذه الحياة فلابد من أحدهما له، أو كليهما في وقتين مختلفين، ومن يكتب عن المجتمع، وفيه الغني والفقير، وما في الغنى والفقر، فيمكنه أن يكتب كتباً لا

صفحات، ولكن كاتبنا يقتصر على ما وجد له إناءً من بيتي الشعر اللذين يختارهما، وقد وجد مثل ذلك عندما تدبر بأن الفقر والغنى لا يجلبهما العلم أو الجهل (٦٨) وتحدث عن الغنى منفردا (٦٠) ووجد أنه كم من فقير أصبح غنيا (٣٢) وأن الفقر لا يحط من رجاحة العقل (٧٧) وما يتوقع من الخير إذا تذلل الغني للفقير المحتسب (٨٤)، وجمع الحديث عن الفقر والغنى (٦٠) وعن جانب من حالة الفقير (١٠٠) وعن الذي تبدو عليه الرثاثة (٢٠٤) وذكر في موضوع شرحه أن لسان الفقير قصير (٢٠٦) وأن الغني

ينظر إليه كالشجرة المثمرة (٢٢٨) وأن الدرهم يفعل ما يعجز عنه السحر (٢٣٠). والمتعة ليست في المرور على العناوين هذه، وإنما في الحديث الذي جاء في لحمتها والأبيات التي أحاطت بها، ودفّأتها بحسن الاختيار، وإصابة الهدف بجدارة ومقدرة.

والحلم والغضب لم يفلتا من عدسة ملاحظة الكاتب الدقيقة، أو يحتجبا عن ريشته البارعة، فقد حاصرهما بأبيات أتبعها أو سبقها برأيه وأدخلها تحت مواضيع تحدد في جملة ما تحدد القول عمّن: يحلم وليس له سفيه (٨٧)

وتتحدث عن موافقة النفس للصبر (١٢٣) وعن واقع الصبر في حياة الناس (١٢٤) وعن مفهوم الصبر عند الحكماء (١٣١) ، وعن أثر الصبر في التعامل (١٣٢) وعن الأهداف التي يحققها الصبر (١٣٦) وعن الصبر وعلاجه للنوازل (١٣٧) ، وعن الصبر وهو طريق النصر (١٣٨) وعما قيل في الصبر (١٤٤) وعن عقبى الصبر (١٤٥) وعن دعوة إلى الصبر واستصحاب القناعة (٢٢٦) وعن أن الأحلام هي في حال الغضب (٧٣) .

ولم يفت الكاتب أيضا عن أن يتحدث

على أمر شغل الناس بدوهم وحضرهم ، قديمهم وحديثهم ، عن الحب وعن صلة ذلك بالنساء . يدخل على الموضوع من زوايا تحكمت فيها الأبيات التي رضيها الكاتب قيداً لنفسه في السير في عناصر هذا الموضوع الذي بدد عناوينه في صفحات الكتاب ، دون تتابع منتظم ، وكأنه يوحي بالفترة التي انسلخت بين توافر أبيات له في هذا العنصر أو ذاك : فالنساء رياحين خلقن لنا (٢١) ، والحب له شمولية ومفهوم عند العشاق (٢٥) ، وهناك منازل الحب وفعالية الدراهم (١١١) ، ورحيق الحب (١٤٢)

ومسؤوليات القلب (٦٧) والتستر على الحب (١٧٠) والحب ليس بأعمى (٢٠٠) والعشق داء دوي (٢١٣)، والعشق ينطق العي (٢١٤) وخلاف الرأي حول الحبيب الأول (٢٦٦) والعشق لا يعني الهيام بالحب فحسب (٢٩٣)، وليست الملاحة في البيض أو السمر وإنما الملاحة في كل لون (٨٢٠).

والكتاب أساساً يقوم على الشعر، إلا أن هذا لم يقتض المؤلف أن يقتصر على الإطار الشعري الذي ارتضاه لكل مقالة من مقالاته بدءٍ ونهاية، وإنما أعطى الشعر والشعراء وأغراض الشعر عناوين سامقت

العناوين الأخرى ، فكان منها : لسان الشاعر سلاح مسلول (١٢) ومعاداة الشعراء (٣٤) والهجاء فن (٣٦) والمغربي يداعب المتنبي (٣٢) وشاعر وقاضٍ (٦٤) وصور من البؤس في حياة الشاعر الحجي (٦٦) والشعراء يشنون على البخيل حرباً شعواء (٢٢٥) وعدوان الشعراء داء معضل (٢٧٩) ، والبخيل في ألسنة الشعراء (٢٣٢) .

ولاشك أنه مثلما أن هناك فضائل يحث المجتمع على الاتصاف بها ، أو التمسك بأهدابها ، لأنها تساهم في بناء المجتمع ، وتجعل منه مجتمعاً سليماً منتجا ،

فهناك العيوب التي يجب أن تتجنب ، وتحذر إن لم تكن قد دخلت ، والتخلص منها إن كانت قد تفشّت ، فهي آفة تنخر في حياة الفرد والمجتمع ، وليس هناك مجتمع يخلو من الفضائل أو من الرذائل ، ولكن المصلحين يعضدون هذه ، ويقفون لتلك بالمرصاد . ولم يكن عجيباً أن يتطرق الأستاذ أحمد للعيوب ، في عدد من المواضيع التي تطرق إليها ، حاملة عناوين مختلفة عن بعض العيوب : فهو يحذر ويطلب من الفرد في مجتمعه أن يحترس من عيب الناس بما فيه (٢٣٦) ويقول له إن العيب فيمن يعيب

الناس (٤٠) ، ويعطي مثلا يدور عليه مقاله ، إذ ينهي عن قطف وردة، ويقطف هو وردتين (٤٥) ويبرز الذي يرشد إلى طريق وهو متنكب عنه (٤٧) ويخاطب أحد الناس : إذا كنت تنهي عن شيء ، فدعه (٢٠١) ، ويشير إلى الطبيب الذي يداوي الناس وهو عليل (٢٢٣)، وكما رأينا أخذ جانبا من العيب ، وهو عيب شيء على الناس مع الإتيان به، وجاء بهذا في صور مختلفة في هذه المقالات، مع ما أحاطها به من بيتين في الأول والآخر، وهي مقدرة تقدر له .

والزمن وهو يحيط بنا دائماً ،

ويسبقنا، ويتلونا أخذ حيزاً من كتاب « بين بيتين » وجاءت عدة عناوين عن الزمن مباشرة أو عن طريق غير مباشر، ولكنها تتقارب في مرماها، فاليوم الذي يمضي أفضل من اليوم الذي يأتي (٦) ، وطول العمر لا يقاس بعدد السنين (٧٨) ونقطة النهاية بداية منطلق إلى نقطة البداية (٩٦) ، وله مقالة ضافية عن : دوران عقارب ساعة الزمن (١٩٩) ، والحياة زمن، ومن الناس من يبالغ في حب الحياة، ومنهم من سئم منها (٢١٧) وبلوغ النهاية بداية للعودة (٢٢١) ، وللنهاية المؤلمة علامة (٢٨١) ، والحياة

سفر (٢٣) .

وتختلط الحكم بالملاحظات الدقيقة عن التجارب في هذه الحياة ، وما تطرق إليه في هذا كثير ومتشعب ، ولكنه يعكس ما يدور في ذهن الكاتب مما يهمه ، وما يهمه في بعض الأحيان يعتبر ظاهرة عليه أن يلفت إليها الأنظار حتى لا تستشري ، وان كان فيها فضيلة ، فهو يريد أن يعرف الناس بها حتى يهتبلوا فوائدها فلا تفوتهم : فالتجربة ميثاق الصداقة (١٠) واقرأ ما كتبه تحتها تجد أن في الأمر ما يهمك أنت أيضا ، وحجر الشحذ الذي يسن السكاكين ويجعلها

قـــاطعـــة وهـو لا يـقـطـع (٢٩) ، ويـلـفـت نظرك إلى أن مجادلة من ليس في مستواك منقـــصـــة عليك (٣٧) ألا يـذكـــرك هذا بقـول حكيـم عـربـي : «ما جـادلت عالما إلا غلبـته ، ولا جـادلت جـاهلا إلا غلبني ؟ » .

وزبدة قـول يقـولها عندمـا يرسـم لك صـورة من صـور الطمع فـيـقـول : الـطمع مـفتـاح الخـضـوع والتـذلل (٢١٨) ، وتـتـفق مـعـه عندمـا يقـول في أحـد عناوينه : أفـعـال الرجل وأقـواله هي عنـوانه (٣٨) ، والناس للناس (٤٩) ولـيس كل مـصـقـول مـن الحـديد بتـاراً (١٠٩) ، ولعلك تحتـاج إلى ما كـتبـه تحت عنوان : أكل الفهـود ولا أكل

السنانير (١٣٣) ففيها من التفسير ما يوضح معنى العنوان الذي أرهقته ثياب البديع التي لبسها . ويذكرك ان كنت غافلا بأن الحياة سفر (٢٣) ، وفضيلة الصمت يأتي لها بعنوان يقول فيه : الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت (١١٥) ، ويبدو أن العدد عموماً له صلة بالصمت فلعلك تذكر ما قيل عن الصمت جوابا عن سؤال لأحد الصامتين لماذا هو صامت ؟ فقال لأن له لسانا واحداً وأذنين فهو يسمع ضعف ما يتحدث . والإحاح مفتاح (١٢٧) ، وقد قال الشاعر :

(أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا)

ويكفي هذا مثلا لما كان في الكتاب من اتجاه ، وما تركت أكثر مما دونت ، فالكرم له نصيب متكرر ، والصداقة والعداوة جاءت في عدة عناوين ، والعلم شغل ذهن الكاتب فعدّد المقالات فيه ، والكذب رذيلة يذمه كل الناس ، ويذمها الكاتب ، ويبرهن على ذلك في عدد من العناوين والأبيات الفاتحة والخاتمة . والزيارة وآدابها ، وما لم يتكرر كثير مما اكتفى فيه الكاتب بمقال أو مقالين .

لعل هذا كله يوضح ما قلته من أهمية

الكتاب ، وابتكار المنهج ، مع ما في إيجاد بيتين بينهما من الصلة ما بين الأبيات التي وردت في كل مقالة من صعوبة، ولعل مما سهل للكاتب الوصول إلى هذه الحصيلة من الأبيات هو ما عرف عنه من مخزون الشعر، وسهولة الأمر له بالنسبة لذلك .

والذي يجعلني أقف أتدبر في كثير مما أقرأ هو مدى استفادة الشباب من الكتب التي تمر بي، فهم دائماً في الذهن ، لأنهم عدة المستقبل، وفي يدهم ستكون الأمانة، وجيلنا مسؤول عما سوف يكونون عليه، خاصة في معرفة التراث، والمحافظة عليه، لأنه الطابق الأول في البناء . والطوابق

الأخـرى تقـوم عليـه ، فـاذا لـم يكن قـويا واسعاً رحباً ، كانت الطوابق الأخرى غير مـأمونة ، وناقـصـة مثل نقـصـه . إن تراثنا مضـيء ، ولكنه يحـتـاج إلى إزاحة التراب والغـبـار عنه . لما مـرّ عليـه من زمن جـائر يحـتـاج إلى نشـر ، وحـسن اخـراج ، واقتباس واختصار ، وإكمال بفهارس، مما يجعله جذابا يفتن الشبان بلباسه الجديد . والمظهر أحيانا له دور كبير في الكشف عن المخبر ، وله جاذبيته إلى ما هو مخبأ تحت الجلد أو القشر . والشبان إذا قرأوا مثل هذا الكتاب لابد أن يخرجوا بما يحببهم إلى تراثهم وإلى ما فيه من تعداد

لفضائل كان أهله يتخلقون بها ، مما يجعله محل فخر واعتزاز لهم ، سواء كانوا في جاهليتهم أو إسلامهم ، فكثير مما كانوا عليه في الجاهلية امتدحه الإسلام ، امتدح الكرم والوفاء والغيرة على العرض ، ومساعدة الضعيف ، والعطف على الكبير ، والحفاظ على العهد والأمانة ، وامتدح في الإنسان الشجاعة والاخلاص ، ورعاية الجار ، وامتدح الفروسية بما فيها من ركوب الخيل واحترامها ، والرمي بالنبل والسباحة . فإذا وجد الشاب أن عرقه زاكيا منذ القدم ، وان ما يرى مبنيّا عليه ، ربما أحس بالمسؤولية في المحافظة

عليه، والأمم المتقدمة اليوم في حضارتها العلمية تحرص على مثل هذا الماضي ، وتنفق الأموال الطائلة في استكشافه وعرضه ، وتلميعه مادياً ومعنوياً ، والأمم التي ليس لها ماضٍ مشرق ، أو أهملته ، أصابتها العقد النفسية ، والمجتمعات تصاب مثل الأفراد بالعقد النفسية ، وأصبحت تصرفاتها لا تمتد إلى الحضارة بصلة ، وإنما هي إنجازات مادية توصلت إليها ، عديمة الروح ، ولهذا فهي تعاني في هذا الجانب، فهي أمة تصل القمر ، وتسعى إلى الوصول إلى المريخ ، والفرد فيها يستطيع طوال يومه أن يدير أموره

بالأزارير ، يفتح بها الباب ويغلقه ، ويشغل الفرن ، ويحضر الأكل ، ويفتح النوافذ ويغلقها ، ولكنه لا يستطيع أن يخرج من بيته أمتاراً دون أن يتوقع الأذى ، من شخص خرت روحه من المثل العليا ، وانعدمت عنده الوطنية ، ولم يبق للإنسانية عنده مكان ، همه نفسه كيف يكسب لها بدون تعب ، وهو الكسول الذي آثر أن يسطو على ما يكسبه الناس .

عندما يفتح الشاب كتابا مثل «بين بيتين» ويقرأ هذا البيت :

« ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا »

وهو ما حفظه في تاريخ الأدب لبشار ابن برد ، وما قاله في الغزل مما انفرد به ، يجد أن عليه أن يعرف بيتا آخر خلابا جذابا ، جديداً لدريد بن الصمة :

« لو ناحت الأعصم لا نحل لها
طوع القياد من شماريخ الذرا « ٢٢ » »

وإذا قرأ :

« تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً
وإذا افترقن تكسرت أفرادا »

وهو ما أخذه في كتاب المطالعة في إحدى السنوات الابتدائية ، حاثا على التعاون والتكاتف وفوائدهما ، فإن الكاتب يرقى به درجة أعلى فيقدم له

بيت السري الرفاء :

« إذا الحمل الثقيل توزعته

أكف القوم هان على الرقاب »

وعندما يرى البيت الذي ألفه وحفظه يوصيه بالصبر ، وهو ما يفتح مغلق الأبواب ، وهو بيت يسمعه في المدرسة وفي البيت وفي الشارع :

« أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواب أن يلجا »

عرف أن هناك أخا له في المعنى :

« أما ترى الحبل بتكراره

في الصخرة الصماء قد أثرا »

وهكذا يزيد معلوماته ، ويوسع

مداركه ، ويزيد ثقة بلغته ، وفكر قومه .

والكاتب يدرج بهدوء آراء يخالف بها ما قد يكون مستقراً في الأذهان على أنه شيء مسلم به ، ولا تستطيع إلا أن توافقه عليه ، وتأتي في صفه ، لأن فيما قال منطقاً ، وفيما توصل إليه من نتيجة ما يقنع ، فمثلا عندما جاء ببيت عن الهجاء ، وأثار الرأي الذي يقول إن من يمدح يستطيع أن يهجو ، فلا فرق بين أن يقول المرء نعم أو بئس . وقد خاض في هذا كثير من الشعراء عندما لوحظ عليهم أنهم لم يطرقوا باب الهجاء ، والهجاء محبب إلى الناس ، تحباب الغيبة والنميمة إلى

نفوسهم إلا من عصم الله ، وكان الجواب إن من يستطيع أن يقول أحسنت يستطيع أن يقول أسأت . وهي كما قد ترى من نقاش الأستاذ أحمد حجج ضعيفة لأن الشاعر الهجاء له أدوات لا تتوافر لغيره ، ففي ثقافته ما يقرر مقدرته على المدح أو الهجاء ، وأزيد أن في تربيته ، وما مرّ به في طفولته من أمور كيفت بوتقته ، وكذلك ما عاش فيه من بيئة ، وما يجيش داخل صدره من حب أو بغض للناس ، أو لنوع منهم ، فأنا أتفق مع الكاتب ، في أن من يمدح قد لا يحسن الهجاء ، ومن يجيد الهجو قد لا يحسن المديح ، ومن الصعب

على الرجل الخيّر الطيب أن يكون سيئاً خبيثا ، ومن الصعب للخبيث السيء أن يكون حسنا إلا بتعب وبتكلف إلا من تداركه الله .

والحديث عن هذا الكتاب يطول ، فكلما قرأته استجد في ذهنك ما يوجب الحديث ، ويدعو إلى تتالي الأفكار وتتابعها ، ولقد وجدت فيه متعة في وقت استطعت أن أقرأ فيه بتمعن ، وأرجو أن يشاركني هذا من أتيح له أن يقرأه.

وبالله التوفيق .

مقدمة (١)

التعليم ميدان شريف ، وفائدته تدخل كل بيت، لأنه لا غنى للفرد عنه، ذكراً كان أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، في الحاضرة أو البادية، في الأماكن القريبة أو البعيدة.

وكل أمة نابهة فمسيرتها التعليمية تنطلق من حاجتها ، ومن نظرة أهلها ، ومن قدرتها المالية ، ومن روحها الحضارية. والمملكة على هذا لها هدفها الذي رسمته، ولها نيّتها التي أضمرتها وحكمتها،

---

(١) مقدمة لكتاب : «تطور التعليم في نجد في عهد الملك عبدالعزيز من الكُتّاب إلى المرحلة الجامعية» للأستاذ محمد العبدالله السلمان ، أعدت في ٤ / ٤ / ١٤١٥هـ .

ولها تجربتها التي تفردت بها ، وانطلقت بها من حاجتها ، ومن إمكاناتها ، ومن نظرة قادتها إلى مستقبلها ، وإلى حرصهم أن يأخذ التعليم شخصيته من بلاده ، فلا يقلد غيره ، أو يمشي أعمى في طريق حمده غيره ، ولكنه ليس طريقه .

فالتعليم في المملكة شق طريقه في ظل الدين الإسلامي الحنيف ، والعقيدة السمحاء ، والعادات المبنية عليها ؛ يتطور في ضوء ذلك ، ويتوسع في الحدود التي تسمح البلاد في استيعابه وهضمه .

وكان من الطبيعي أن يبدأ التعليم محدوداً في المملكة ، وأن ينحصر أولا في

منطقة معينة ، وهي الحجاز ، لأنه كان له نواة فيها ، بسبب سبقها لموقعها ، ومركزها الإسلامي ، ثم ينداح تدريجا يمينا وشمالا حتى يعم المملكة بأجمعها ، بسرعة فائقة ، في وقت قصير ، ليس شيئاً إذا قيس بحياة الشعوب ، وأعمار الدول .

وكانت عين الإصلاح ، بعد توفيق الله ترعى الكم والكيف ، وكان الجهد يبذل في أقصى حدوده ، وكانت اليقظة مستنفرة لحفظ المسيرة على الطريق المستقيم ، لا تقصر عنه ولا تتوانى فيه .

وكان التطور يُلتمس في كل وقت ، ويتحرى في كل جانب ، ويركض خلفه

في كل مجال .

وتبرز بين آن وآخر صعوبات ، وتعترض عقبات - كما هو متوقع - لناشئٍ كان يحبو ثم يخطو ثم مشى ثم ركض ، ولكن توفيق الله وعنايته ثم جهود المخلصين ودأبهم مكّن من التغلب على الصعوبات ، وسهّل العقبات ، وكان من جملة تلك المشاكل ما تسببت فيه ظروف عالمية ، مثل الحرب العالمية الثانية ، وبعضها عراقيل اجتماعية ، سببها سعة الخطو في ميدان التعليم ، وسرعة السير في مراحله ، مما لم يحتمله المجتمع ، لِجدَّته عليه ، ولحذره من الجديد ، الذي لم يتأكد

من مدى تأثيره على المجتمع ، ولكن ربان السفينة كان حاذقاً ، وشفوقاً ، فأدارها بجدارة ، وقادها بمهارة ، وأخرجها من الشعاب المعترضة سليمة نشطة ، لتستمر في طريقها إلى مينائها المرسوم لها .

وأصبح التعليم بمراحله المختلفة ، متوجاً بالجامعات ، وفيها الكليات المختلفة، في التخصصات المتعددة مفخرة حضارية للمملكة العربية السعودية، فسامق به الدول، وتفاخر به الشعوب، واعترف العالم بشهاداتنا، وبالإنجازات التي شارك فيها خريجو بلادنا، لما رأوه من نجاح في حمل واجب التنمية في الوطن

بجوانبها المختلفة .

والكتاب الذي بين أيدينا محاولة من المؤلف، للمساهمة في تكملة رف من رفوف مكتبة التعليم في المملكة ، يرسم صورة للتعليم في منطقة من المناطق، وفي مرحلة من المراحل، ليكون نموذجاً للجهود الخيرة التي بذلت فعمت كل منطقة .

وأي جهد يبذل في هذا الجانب لإثراء مكتبة التعليم ، قليلا كان أو كثيراً ، شاملا أو متخصصاً ، فهو جهد مرحب به، وعمل مشكور .

وأرجو أن يجد القارئ في هذا الكتاب ما أمل عندما قرأ عنوانه .

وفـائدة مـثل هذا العـمل إذا أتقن أنه يصبح مرجعاً ، سهل التناول للمحتاج ، فهو يوفر الوقت ، ويقلل الجهد .

هذا وأرجو أن ينفع الله به وبمؤلفه .

عبدالعزيز الخويطر

٤ / ٤ / ١٤١٥هـ

افتتاحية (١)

لوزارة المعارف حجم كبير، يزيد عدد منسوبيها ما بين إداريين ومعلمين وفنيين عن مئة وعشرين ألف فرد، وتغطي جوانب هذا المرفق أجزاء المملكة الواسعة قاصيها ودانيها ، مدنها وقراها وهجرها، حضرها وبدوها، سهولها وجبالها .

وفي الوزارة بجانب الأفراد الخطة والمنهج والكتاب والمدرسة والمكتبة والملعب والوحدة الصحية، والمدرسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، والتعليم

---

(١) إحدى افتتاحيات رسالة المعارف .

الخاص بأقسامه المختلفة ، ومعاهده النهارية والداخلية ؛ ويشمل نشاط الوزارة الفصل والمقصف والمصلى والرحلات والمسرح .

كل هذه أمور حولها أخبار تتحدث عن ما يستجد وما يتطور، وفي بعض النشاط نقط مضيئة بزغت في بعض المناطق نتيجة جهد فردي أو جماعي، ورسالة المعارف سيكون دورها نقل ما يستحق أن ينقل شهريا من منطقة إلى منطقة ، ومن مدرسة إلى مدرسة ، وهدفها وصل المعلم بالمعلم والطالب بالطالب، وبث الخبر المفرح المفيد في محيط الأساتذة والطلاب، حتى يشعر الجميع بأنهم أسرة واحدة تخدم

هدفاً واحداً ، وتسعى إلى قصد واحد .

رسالة المعارف ستكون بجانب إيجاد الصلة وتأكيدها سجل متنوع للنشاط ، وخازنة لحقائق تعليمية تسجل التحرك نحو الأمام . ونرجو لها من الله التوفيق .

عبدالعزيز الخويطر

٥ / ٧ / ١٤١٤هـ

مقدمة (١)

اللغة هي فخر الأمة ، لأنها وعاء الدين، ووسيلة التخاطب نطقا وعقلا ، فلا غرو أن تهتم بها الأمم الناضجة ، وتغار عليها الشعوب الواعية ، ويحميها المثقفون من أبنائها ، فيدرؤون عنها الشوائب ، وينقحونها من العوائق ، وتقوم قائمتهم عند ما يرون إهمالا في جانب من جوانب احترامها ، وتقديرها ، ويخرجون عن صوابهم ، ويسلون

---

(١) مقدمة لكتاب الأستاذ إبراهيم المحمد الدامغ : «المُيَسَّر في الإملاء وعلامات الترقيم».

السيوف ، ويشرعون الرماح ، ويشنون الحرب ، إذا رأو جهوداً مقصودة ، لأذاها ، وذلك بتهجينها بلغات أقل شرفاً ، وأدنى نبلا ؛ أو النيل من أسسها ودعائمها ، بانتقاد قواعدها ، والنيل من أصولها ، لفظا أو كتابة .

وهذا الكتاب دفاع هادئ ، بطريقة غير مباشرة عن اللغة ، ولكنه يأتي رأساً لخدمتها ، والمحافظة عليها ، ووضع أسوار منيعة ، وأبراج عالية لحمايتها ، وصون كرامتها ، والحفاظ على وجهها ، من الكلف والنّدوب ، ولإبقاء بهائها ورونقها ، لتبقى جديرة بحمل رسالة

الفكر الإسلامي ، وأسُّه القرآن ، ولحمته الشريعة الغراء .

وقد تناول الكاتب بجدارة ، معترف بها ، ومقدرة مقرة ، الجانب اللفظي للكلمة في اللغة العربية ، نطقها وكتابتها، منفردة ، أو مجاورة لأخرى، سابقة لها، أو لاحقة بها . ولقد أحسن في اختياره خط الدفاع هذا ، ونزوله في هذا الخندق، وفي انتقائه هذا السلاح الماضي ؛ ولعل توفيقه في إنجاز هذا العمل جاء من نيته في خدمة هذه اللغة الغالية .

ونحن في هذا الزمن ، الذي ضعف فيه عند الشباب الاهتمام بصحة اللغة ، وزاد

عدم إيمانهم ببقائها نقية صافية ، ونظرة بعضهم إلى أنه يجب التساهل فيها ، وعدم الدقة ، في هذا الزمن ، الذي يجب أن يهتم بالتقنية ، والمنجزات الحديثة ، ومجاراة العالم في سرعة التطور ، بدلا من ضياع الوقت في «ضَرَبَ زيد عمراً» ، والصرف والقياس، أحوج ما تكون لمثل هذا الكتاب، الذي يمثل دليلا ميسرا لمن أراد ألاّ يضل عن طريق الجادة المستقيمة في أمر لغته ؛ ولقد أحسن مؤلفه ، إذ جمع فيه القواعد التي يحتاجها الشاب والكهل، لمعرفة الصحيح في صورة الكلمة، ووضعها . وسوف يصبح مرجعاً

لا يُستغنى عنه ، لأنه جمع هذه الأمور في كتاب ، جاء منسقا منظما ، لا تكلف فيه ولا تحمل .

ولقد شعرت ، وأنا أقرؤه ، وكأن مؤلفه يحيط بما في الذهن ، ذهني وذهن غيري ، من التمني ، عندما يحوجنا الأمر ، إلى وجود هذا الكتاب ، قريبا منا ، نرجع إليه ، عندما يتأرجح الرأي عندنا في صورة كلمة ، وكتابتها الصحيحة .

وهو كتاب مثقّف ، يملأ الفكر نوراً ، وقد أحسن المؤلف عندما مهّد لمعلوماته بنبذة تاريخية ، تبين تطور صورة الكلمة ، فأخذ القارئ تدريجا في مراحل حياة

الكتابة ، ومتعة هذا التاريخ ، وهو رسم صادق ، لتطور النظرة الإسلامية ونضجها، وبراعتها في حرصها على حفظ التراث الإسلامي المجيد ، عن طريق إتقان الوسيلة الأساس ، وهي الكتابة . وطريقة هذا السير أصبح عامل جاذبية للقارئ في استيعاب ما كتب .

والأمم الأخرى لم يخطر ببالها ، إذا كانت متحضرة ، أن تضحي بحرف واحد، تهمله ، أو تتهاون فيه ، وخلف كل حرف أمة كاملة ، مشرعة الأسلحة ، تذود عنه ؛ ويقظتها تجعلها مفتحة الأعين، والآذان ، لأي نبرة أو نبوة توحي بلمس

أديمها ، أو خدش كرامتها .

وتأتي المحاولات المشبوهة من طرق ملتوية، وأوضحها الادعاء أن تلك اللغة في وضعها القديم ، وصورتها في التراث ، لا تتماشى مع التقنية الحديثة ، والإنجاز المعاصر، فدائرتها، وأشكال كلماتها أضيق من أن تقبل هذا الطوفان من المصطلحات الطارئة .

وقد وجه هذا الاتهام إلى اللغة العربية، مثلما وجه لبعض اللغات ، التي اعتبرها الغرب غير رئيسة ، وحاولوا منذ قرون أن يقنعوا مثقفي العرب بهذا ، ولم تكن بعض هذه المحاولات تخفي وراءها

قصداً دينياً سيئاً ، أو هدفا سياسيا خداعاً، وإنما كان اجتهاداً ، قصد به خدمة الاستشراق ، والاحتلال . فكانوا يريدون لغة ساذجة بسيطة تخدمهم في تخاطبهم مع الدول التي استعمروها سياسيا ، أو فكريا ، فهم يدركون أنه لو قبل رأيهم لاستراحوا من الكلمات الصعبة ، والمترادفات الوافرة ، التي امتازت بها اللغة العربية ، فهم لا يريدون «مكاءاً» أو «تصدية» وأسهل منها «صفيراً» ، و«تصفيقاً» .

وقد ذهبوا إلى أبعد من هذا في خدمة مصلحتهم اللغوية ، فاقترحوا أن تستبدل

الفصحى بإحدى اللهجات العامية ، ورجح الفرنسيون اللهجة السورية اللبنانية ، ورجح الإنجليز اللغة المصرية . فازدهرت هذه الفكرة في أيام الاستعمار ، ثم بدأت تخبو ، وحل محلها الدعوة إلى تعميم لغة الصحافة ، لسهولتها ؛ ثم قل اتصالهم بالبلاد العربية إلا في التجارة ، أو في غيرها ، وقد حلت مشكلة الاتصال الذهني بينهم وبين البلاد العربية ، إذ أصبح من يتصل بهم يتكلم لغتهم .

وفي المرحلة التي رفع الغرب العلم لمحاربة اللغة العربية ، محتجاً بما يدعيه من قصورها عن مواكبة التطور التقني ،

وإضاعة الوقت والجهد ، في إحياء لغة ميتة، جاء الرد عمليا ، وصافعا ، عندما برزت اليابان إلى الصفوف الأولى في التقنية ، ولغتها اليابانية هي وسيلتها ، وهي أضعف من اللغة العربية أفقا ، وانداياحاً ، وأصعب منها حروف هجاء وكتابة ، فجاءت لطمة قوية ، بدأت تعضدها الصين بتقدمها في صفوف التقنية المتقدمة ؛ وروسيا ، قبل ذلك ، كانت المنافسة للولايات المتحدة في الطلوع إلى القمر، والصعود بأقمارها الصناعية إلى الأفق ؛ والروس ، والصينيون لا أحد يقول إن لغتهم أسهل من اللغة العربية ، ولا

عداد لهجات أقطارهم أقل من اللهجات العربية.

وبعد :

فالحديث عن اللغة العربية، لا يمل، بل هو جذاب، ومتشعب، وهذا التشعب يضفي إلى جاذبيته، ولكن الحديث اليوم، في هذه العجالة، هو عن هذا الكتاب القيم، ونفعه ، وفائدته لكل قارئ ، وعدم استغناء أحد عنه. وكل ما هو في سبيل اللغة العربية مرحب به ، ومقدر ، خاصة إذا جاء بمنهج سليم ، وخطة متقنة ، لأنه يخدم لغتنا ، ويحافظ عليها ، وهي أهل لما يبذل في سبيلها، وهي الممتدحة من كل

من عـرفـهـا ، وقـدرها ، وآخـر مـا قـرأت في هذا المجال الأبيات التي قالها الأخ الأستاذ سليـمـان ابن عـبـدالعـزيز الشـريـف في قصيدته التي عنوانها: « أوقعتني حبائل الشيطان» في ديوانه ، الذي صدر حديثا ، ومطلعها :

أَسْعِفِينِي يَا دَافِقَاتِ المَعَانِي
وَاحْضُنِينِي يَا دَافِئَاتِ الأَمَانِـي

ثم يعرج على اللغة العربية فيقول :

أَنَا صَبٌّ عَشِقْتُ لَهْجَةَ قَوْمِي
لُغَةُ العُرْبِ تَاجُ كُلِّ لِسَانِـي
زَادَهَـا اللَّـهُ رِفْعَـةً وَجَـلالاً
وَجَمَـالاً بِمُعْجِـزِ القُــرْآنِ

آمين ، وصلى الله ، وسلم ، على محمد ، وآله ، وصحبه ، أجمعين .

عبدالعزيز الخويطر

١٤ / ١١ / ١٤١٥هـ

مقدمة (١)

الدكتورة فوزيه بنت محمد حسن أخضر علم من الأعلام في التعليم الخاص، عملت في هذا القسم أكثر من اثنين وعشرين عاما، وأصبحت بعد التجربة الطويلة، والعمل الدؤوب اللصيق بالطالبات اللاتي يعانين من بعض الصعوبات في إحدى الحواس موجهة تربوية.

ومواكبتها للتطور في هذا النوع من

(١) مقدمة لكتاب: «المدخل إلى تعليم ذوي الصعوبات التعليمية والموهوبين» للدكتورة فوزية محمد حسن أخضر.

التعليم، ومشاركتها مع زميلاتها في دفع عجلة تقدمه ، وسعيها في الحصول على أعلى الدرجات العلمية فيه جعلها مؤهلة لأن تبدي آراءها في كتب تخرجها تُثري بها المكتبة السعودية في هذا المجال، وكانت أول تجربة لها في التأليف كتابها: « دمج الطلاب الصم وضعف السمع في المدارس العادية » ، وقد طبع حتى الآن طبعتان مما يدل على الوعي في تلقي المعرفة في مجالٍ قليلٌ من يلتفت إليه في الماضي.

واليوم يقبل كتابها الثاني : « المدخل إلى تعليم ذوي الصعوبات التعليمية والموهوبين » ، وتأتي هذه المرة الدكتورة

فوزية ومعها التجربة العلمية والعملية في العمل ، والتجربة في التأليف ، مما يساعدها على صياغة أفكارها بطريقة سليمة ، عن وصف ما هي بصدده ، وعن الإسهام فيما قد يبدو لها من اقتراحات .

والتأليف في أي حقل - وبالذات في الحقول العلمية التربوية وخاصة في مجال التعليم الخاص - فيه جرأة لأن الأمر لا يكفي فيه النقل من غيرنا ، ورسم صور غريبة على مجتمعنا ، فهذه لا تفيدنا ، ولهذا عندما تأتي مسؤولة مخلصة لحقلها ، خبيرة به ، فتقدم حصيلة سنوات غالية من العمر ، فهي تدخل الميدان

مسلحة مستعدة. وفيه وطنية لأن الحقل لا يزال لم يحرث الحراثة الكافية ، ولم يزرع بالمحصول المتطلع إليه، ولا ينفع في هذا إلا الجهد الوطني الخاص، لأن صاحبه أعرف بالعادات والتقاليد، والظروف التي تلعب دوراً رئيساً في حياة من يعانون من صعوبات ومشاكل، تعوقهم عن السير بالسرعة التي يسيرها الآخرون ممن لا يعانون من هذا النقص، وهذه الصعوبات.

واختيار هذا العمل بعينه منذ بداية الطريق ، والسير فيه في مراحله المختلفة، وإبداء الاهتمام بمنسوبيه، والسعي لأجل رفع شأنه، وتوجيه سيره، في ضوء

الحصيلة الجيدة المكتسبة، يدل على تصميم على مقابلة ما فيه من صعوبات، وتهيئة النفس منذ البداية على السير بإخلاص لخدمة هذه الفئة من الشباب الذين لا يتأخر عن العمل من أجلهم إلا من يحتاج إلى فحص هويته الإنسانية، وتقرير موقعه من مجتمعه .

والجهد المبذول في الكتاب واضح، تدل عليه المعلومات المدونة فيه، والأفكار التي جاءت نتيجة استقراء واستقصاء وفحص وتمحيص. ولاشك أن من في الميدان وفي المعمعة خبر من يتصدى للتوجيه التحريري بعد أن تصدى للتوجيه

العملي، وهو المركز المطل بجدارة على كثير من النواحي النظرية والعملية، ومعرفة الممكن من المستحيل، والمهيأ، والذي يحتاج إلى وقت، وما يقبله المجتمع، وما يحتاج إلى صبر وأناة ، فالتأليف من قبل موجهة هو مكمل لعملها ، وعمل زميلاتها ، وهو عمل يوحي بالتوثيق ، ويوجب الاعتماد والقبول .

والكتاب بمحتواه لا يقتصر على بحث أمور ذوي الصعوبات ولكنه يُدخل في حيزه ونطاقه الموهوبين ، والإتيان بمثل هذه المقارنة بين فريقين مختلفين يعطي الأمر قوة ووضوحاً، لأنه يركب قطار التناسب

مما يوجد قاعدة للانطلاق والعودة لتكمل الصورة من رحلات المقارنة، وتحديد التشابه والتباين، وإيجاد السبل لردم الهوة التي قد تكون بينهما .

ولن أدخل إلى محتوى الكتاب بالتقويم، أو التعرض لما فيه بالتفصيل، فهذا يحتاج إلى مختص، ولست مختصاً، وما كان عملي إلا تنفيذ سياسة الدولة الحانية على هذه الفئة، التي أولتها الدولة اهتماما منقطع النظير، تحت توجيه خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين، ودفعهما وتعضيدهما، فرصدت المبالغ لبناء المباني اللائقة بهذا النوع من التعليم

والرعـاية ، وأمنت الأجـهـزة ، وفـتـحت الأقـسـام في الجـامـعـات لتـهـيئـة المدرس الوطني ، وفتحت المعاهد في أنحاء المملكة لاراحة الطلاب ، وإبقائهم قريبا من أهلهم.

ويبقى لـي بعد ذلك أن أتمنى للأخـت الدكـتـورة فـوزية التـوفـيق في عـملـهـا ، ومتـابعة الجـهـد في التأليف في هذا المجال هي وزميلاتها اللاتي أصبحن محل فخر المسؤولين، الذين يتطلعون إليهن باعتزاز.

والله الموفق ،،،

عبدالعزيز الخويطر

٢٥ / ١ / ١٤١٤هـ

الفهـــارس

(١) الأول : فهرس الموضوعات

(٢) الثاني : فهرس الأعـــلام

(٣) الثالث : فهرس الأماكـــن

(٤) الرابع : فهرس الأشعـــار

(١) فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
١ - المقدمة	٥
٢ - مقدمة ديوان من النوادر .... لمحمد بن إبراهيم السبيعي	١٩
٣ - هولاء .. مرّوا على جسر حياتي .... لعلوي طه الصافي	١٠٩
٤ - ذكريات وخواطر .... لإبراهيم المحمد الحسون	١١٨
٥ - مسيرة التعليم في منطقة الجوف .... لإبراهيم بن خليف بن مسلم السطام	١٢٧
٦ - شعراء عنيزة الشعبيون .... لعبدالرحمن العقيل المحمد وسليمان الهطلاني	١٤٧
٧ - التعليم وتنظيماته الإدارية .... لمحمد بن صالح بن عبدالعزيز النعيم	١٨٢

٨ - الطبريون مؤرخو مكة ١٩٣
لسليمان بن عبدالغني مالكي
٩ - الوسائل التعليمية ٢٠٩
مقدمة لكتيب وزارة المعارف
١٠ - المباني القديمة ٢١٤
مقدمة لكتيب أصدرته إدارة الآثار
١١ - الكلام على حقيقة الإيمان والإسلام... ٢٢٤
تحقيق الدكتور محمود حسن أبو ناجي
١٢ - بلوغ الجامعة سن الثلاثين ٢٣٥
كتبت بمناسبة كتاب الوثائق الذي
أصدرته الجامعة بهذه المناسبة
١٣ - تدريس العلوم ٢٤٥
للدكتور عبدالله بن علي الحصين
١٤ - الحياة السياسية في القصيم ٢٦٢
في عهد الدولة السعودية الثانية

١٥ - في الحظ والغنى والفقر ٢٧٧
فيها : حمد العبد الله القاضي
وأحمد العبدالله الدامغ
١٦ - التربية وسياسة التعليم ٣٠١
لمحمد بن ابراهيم بن محمد الدريس
١٧ - قراءة في كتاب «بين بيتين» ٣٠٩
للأستاذ أحمد بن عبدالله الدامغ
١٨ - مقدمة لكتاب «تطور التعليم في نجد» ٣٥١
للأستاذ محمد العبدالله السلمان
١٩ - افتتاحية رسالة المعارف ٣٥٨
٢٠ - مقدمة لكتاب «الميسر في الإملاء » ... ٣٦١
للأستاذ إبراهيم المحمد الدامغ
٢١ - مقدمة لكتاب «المدخل إلى تعليم
ذوي الصعوبات» ٣٧٤
للدكتورة فوزية محمد حسن أخضر

٢٢ - الفهارس ٣٨٢
١ - فهرس الموضوعات ٣٨٣
٢ - فهرس الأعلام ٣٨٧
٣ - فهرس الأماكن ٣٩٤
٤ - فهرس الأشعار ٣٩٩

(٢) فهرس الأعلام

«أ»

إبراهيم باشا: ٢٧١.

إبراهيم بن خليف بن مسلم السطام «أبوخالد»: ١٢٧, ١٢٨, ١٣٦.

إبراهيم بن عبدالرحمن التركي: ١١٣.

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السبيعي: ٦٩، ٧١, ٧٢, ٧٥.

إبراهيم محمد الحسون: ١١٨.

إبراهيم المحمد الدامغ: ٣٦١.

أحمد بن عبدالله الدامغ «أبوعبدالله»: ٢٧٧، ٢٨٢, ٢٨٤, ٢٨٥, ٢٨٩, ٢٩٨, ٣٠٩, ٣١٠، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٤٩.

ابن تيمية: ٢٢٤, ٢٢٥ ٢٢٧, ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١.

ابن الجزار: ٣١٨ .
ابن سبيل: ١٦٠ .
ابن النجار: ٢٠٣ .
أبو هريرة: ٣١٧ .
آل رشيد: ١٧٩ .
آل قاضي: ١٦٠ .

« ب »

بسمارك: ٣١٧ .
بشار بن برد: ٣٤٦ .
البهاء زهير: ٣٢٢ .

« ت »

تركي آل سعود: ٢٧٢ .

« ح »

حسن فتحي: ٢٢٠ .
حُسَيْنِين: ٢٠٣ .

حمد بن عبدالله القاضي «أبوبدر» : ٢٧٧ ، ٢٩٦,٢٩٢,٢٩١ .
حمود الرشيد : ١٦٠ .
حميدان الشويعر : ١٦٠ .

« خ »

خالد الفرج : ١٦٥ .

« د »

دريد بن الصمة : ٣٤٦

« س »

السري الرفاء : ٣٤٧ .
سليمان بن عبدالعزيز الشريف : ٣٧٢ .
سليمان بن عبدالغني بن محمد جمال مالكي : ١٩٣ ، ١٩٥ .
سليمان بن عبدالملك : ٣١٥ .
سليمان بن عبيد : ٨٥ .

سليمان الهطلان : ١٤٧ .

« ش »

شيبانيين : ٢٠٣ .

« ص »

صالح بن محمد إبراهيم السبيعي : ٧٦ .

صلاح الدين الأيوبي : ٢٠٦ .

« ط »

الطبريات : ٢٠٣ .

الطبريون : ١٩٣, ٢٠٣, ٢٠٤، ٢٠٥ .

طه حسين : ١٢ .

« ع »

عبدالرحمن العقيل المحمد : ١٤٧ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨١ .

عبدالعزيز آل سعود «الملك» : ١٢١, ١٣٣ ، ٢٧٣ ، ٣٥١ .

عبدالعزيز الخويطر: ١٤٦, ٢٢٣, ٢٣٤, ٣٠٠،
٣٠٨، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٧٣، ٣٨١ .
عبدالعزيز بن محمد إبراهيم السبيعي: ٦٩ .
عبداللطيف باشا المنديل: ٣١٩ .
عبدالله بن إبراهيم السبيعي: ٤٨, ٥٨, ٥٩, ٦١
عبدالله أبوراس: ٢١٣ .
عبدالله بن رداس: ١٦٥ .
عبدالله الصالح العثيمين: ١٨٠ .
عبدالله العبدالرحمن السعدي: ٣٦ .
عبدالله بن عبدالرحمن العرفج: ٩٩ .
عبدالله بن علي الحصين: ٢٤٥ .
عبدالله بن علي بن صقيه: ١٦٥ .
عبدالله اللويحان: ١٦٦ .
عبيد الرشيد: ١٦٠ .
العثمانيون: ٢٠٧ .

علوي طه الصافي: ١٠٩, ١١١, ١١٣ .
علي الماجد: ١٦٦ .
علي المحمد الصفراني: ١٦٦ .
العماد الأصفهاني: ١٧٧ .
العوني: ١٦٠ .

« ف »

فرانكو البيني: ٢٢١ .
فهد بن عبدالعزيز «الملك»: ٢٣٧ .
فوزية بنت محمد حسن: ٣٧٤، ٣٧٦, ٣٨١.
فيصل بن تركي: ٢٧٢ .
فيصل بن عبدالعزيز المبارك: ١٣٢، ١٣٤ .

« ق »

القطان: ٢٠٣ .

« م »

محسن الهزاني: ١٦٠ .

محمد بن إبراهيم السبيعي «أبو إبراهيم»: ١٩، ١٠٥,١٠٤,٨٥,٨١,٣٤,٢٦,٢٠ .
محمد بن إبراهيم بن محمد الدريس: ٣٠١، ٣٠٤ .
محمد بن صالح بن عبدالعزيز النعيم: ١٨٢، ١٨٤ .
محمد العبد الله السلمان: ٢٦٢ .
محمد بن لعبون: ١٦٠ .
محمد بن مشعي الدوسري: ١٦٦ .
محمود حسن أبوناجي الشيباني: ٢٢٨,٢٢٤، ٢٣٣,٢٣١,٢٢٩ .
مصطفى السقا: ٢٣٩ .

« ن »

ناصر بن محمد بن إبراهيم السبيعي: ٧٢,٦٩، ٧٧ .

(٣) فهرس الأماكـــن

« أ »

الأحساء: ١٨٢, ١٩٠ .

ألمانيا: ٣٨, ٦٩ .

أم رضمة: ١٢٤ .

أمريكا: ٣٨، ٦٩، ٧٦، ٢٣٨ .

إنجلترا: ٢٣٨ .

« ب »

باريس: ٧٢ .

« ث »

ثول: ٩٠ .

« ج »

جامعة الملك سعود / الجامعة: ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٤ .

جبل قاف: ٤٢ .

جدة: ١٢٣ .
الجزيرة العربية / الجزيرة: ١٩٠, ٢٧٤ .
الجوف: ١٢٧, ١٣٥, ١٤٣, ١٤٥ .

« ح »

حائل / حايل: ٩٠ .
الحجاز: ١١٩، ٢٠٥، ٣٥٣ .
الحرم المكي / الحرم: ١٩٦، ٢٠٥ .
حفر الباطن: ١٢٣، ١٢٤ .

« خ »

الخبر: ١٢٤ .

« د »

الدرعية: ٢٧١، ٢٧٢ .
دومة الجندل: ١٤٢ .

« ر »

روسيا: ٣٧٠ .

الرياض: ٦٢, ٢٢١ .

« س »

سرواك «في إندونيسيا»: ٣٦ .

سكاكا: ١٤٢ .

سويسرا: ٧٦ .

« ش »

الشام: ٢٠٣ .

« ص »

الصين: ٣٧٠ .

« ط »

طبرجل: ١٤٢ .

طبرستان: ٢٠٣ .

طبرية: ٢٠٣ .

« ظ »

الظهران: ١٢٣، ١٢٤ .

« ع »

عنيزة: ٦١, ١٢٤, ١٤٧, ١٧٠, ١٧٤, ١٨١ .

« ق »

قارا: ١٤٢ .

القريات: ١٤٢ .

القصيم: ١٧٣, ٢٦٢, ٢٧٠, ٢٧١, ٢٧٢, ٢٧٣

« ك »

كلية الآداب: ٢٣٩ .

كلية العلوم: ٢٤٠ .

« ل »

لبنان: ٩ .

لندن: ٣٨, ٦٩ .

« م »

ماليزيا: ٣٦ .

المدينة المنورة: ٤٨، ٥٩، ١٩٠ .

المسيجيد: ٤٨ .

مصر: ٨، ٢٠١، ٢٠٥، ٣٠٣ .
مكة المكرمـــة: ١٩، ٥٣، ٦٢، ٩٣، ١٠٠، ١٠١، ١٧٤، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥.
مملكة سبأ: ١٤٣ .
المملكة العربية السعودية / المملكة: ٤٤، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٥، ١٨٢، ١٨٤، ١٩٠، ٢٢٢، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٨، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٨١ .

« ن »

نجد: ١١٩، ١٣٢، ١٥٠، ١٩٠، ٢١٥، ٣٥١
النفود: ١٥١، ١٥٢ .

« ي »

اليابان: ٣٧٠ .
اليمن: ١٤٣، ٢٠١ .

(٤) فهرس الأشعار

قافية « ب »

صبور على الزلات والطيش والضنا

عجوب لعوب وكل شغله «خوب» / ١٠١ ،

إذا الحمـــل الثقيـــل توزعتــــــه

أكف القـــوم هـان علـى الرقـــاب / ٣٤٧ ،

قافية « ت »

هن الذي تعبن علينـــا وحنــــا

كالبيض محتاطه عروض كثيـرات / ٢٧, ٥٠.

البارحـــة يـــوم أن كل تهنــــا

كل غفت عينه بجنب الحبيبـــات / ٤٨, ٨٤.

اللـــه لا يقطـــع رجاهـــن منا

حتى إننا نتعب وهن مستريحات / ٥٠ .

وقبلي على فرقا الحبايـــب تحنـا

الخلوج والذيبـــة وخلـــق كثيـرات / ٥٢ .

اللـــه ياقاهـا الخاطــر ومن معـه
هــي نـور عينــي وهــو عزه ولو رأت / ٥٤ ،
والولدة محد كماها يهمني
ولكنها أقسام خطت وقدرت / ٥٤ ،
لأنها تبي تحمل من الروح بعضها
ويلمح البصر اقفت بهم ثم أقلعت / ٥٤ .
وين الذي كدّت عليكم وجاهدت
وقاست مرور لأجلكم كم تعذبت / ٥٥ ، ٦٨ ،
ياخوي ياذخري عليك أتمنى
وانته وفيّ عجّل كفا اليوم ما فات / ٦٠ ،
عضيدي شقيقي يقصر المدح دونه
همـام وفــي طيباتـــه تعــددت / ٦٣ ،
ولله أولاد يقولون وينها
وين الحنون اللي علينا تعطفت / ٦٨ ،
وصلاة ربي عدما الورق غنى
وأعداد من صلى وقال التحيـات / ٨٧ ،

قافية « ج »

ألا إِن عندي عاشق السمر غالط

وإِن الملاح البيض أبهى وأبهــج / ٣٢٢ .

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواب أن يلجا / ٣٤٧,٣٤٠ .

قافية « د »

يا مرحبا به عدما فارس كد

وأعداد ما شدوا على الزمل ورّاد / ٩١ .

يا مرحبا به كثر ما حاسب عد

حيثه برد نـار لهبهـا علــي زاد / ٩٢ .

من لامني جعله عليل ومقعد

ولا يلايم دوم غضات الأنهـــاد / ٩٤ .

قد قلت في الماضي قصيد وأردد

تزيد عندي زين وإِخلاص وأمجاد / ١٠٢ .

واحفظ كلام اللي تعلعل وكد

هذي نصيحـة مخلـص لك ورداد / ١٠٣ .

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً

وإذا افترقـــن تكســـرت أفـــرادا / ٣٤٦ .

قافية « ر »

نفذ نصائح مخلص لك وربَّاك

بجهـــده وجـــرّب حلوهـــا والمرارا / ٧٧ .

هات القلم والبوك واكتب بيمناك

دمتـــم بعـــز وصحـــة وازدهـــارا / ٩٧,٨٥ .

ليتني ما رحت يم اسكند يـده

ليتني ما شفــت ليلــه والنهـــارا / ٩٩ .

افهم كلامـــي جعلك أحســـن

وما نـــدم مـــن دعـــا واستخـــارا / ١٠٧ .

لو ناجت الأعصم لانحل لها

طوع القياد من شماريـخ الذرا / ٣١٦، ٣٤٦ .

إذا ما روى الإنسان أخبار من مضى

فتحسبه قد عاش من أول الدهر / ٣٢٠ .

أما ترى الحبل بتكراره

في الصخرة الصماء قد أثرا / ٣٤٧ .

قافية « س »

إذا لم يكن صدر المجالس سيد

فلا خير فيمن صدرته المجالس / ٣١٧ .

قافية « ش »

والله ما أضحى به ولا لي نية

الدر ثروة والصدف بلاش ـ/ ٣٢ .

والشيص ما ينسب إلى البرحية

واللولو غالي واسأل الطواشي ـ/ ٣٢ .

قافية « ف »

عليه الله أكبر جاره الله محبوبي

وأعيذه من الحاسد بربي وهو كافي / ٤٣ .

هنيئاً لأزواج كذا حبهم «خوب»

ولا ضيعوا أعمارهم بإيه واخلافي / ١٠١ .

قافية « ل »

والحب مخلوق مع الخلق قاطبة

حتى الأشجار بعضها إلى بعض يميل / ٣١ .

مهما تعرض ومهما بي تهلي

عندي كحيلة أصيلـــة مـن أصايــل / ٣٥ .

مأمونة حرة تشيل حملي

وتصبر على غلطتي لو كنت عايل / ٣٥ .

حنا الذي حبنا ما يضمحلي

أرســى الراسيــات ولــه دلايــــل / ٣٥ .

ولي ظبي أحسن منك يادايخ الراس

وريِّع على هونــك ترانــا رجــــالا / ٣٦ .

والله ما يسوون ظفر أشقر الرأس

كـل الحــريم نجوم وهــي الهـــلالا / ٣٧ .

سلامتك يا شمعة البيت والحي

سلامتـك لا بأس يا أم العيـــالا / ٤١ ,٩٧ .

أبو خالد مع خواتــه والمدام
زوجتي خمسين عام في عســـل / ٤٣ .
واللي تراضيني وتدمح لي زلتي
عزّ الله أن شكلها بالحريم قليل / ٤٥ .
أمي وأمك جعل يفداهم الحي
هل الخصال النـادرة والكمــالا / ٥٦ .
أمي واخوي وعزوتي جوهر أصلي
وخوالنـا العماش نعم الرجـالا / ٥٦ .
واشتقت لأحبابي وأهلي وعزوتي
. . . . /٥٧ .
. . . .
ولا أجزاه مهما عملت مستحيل / ٥٧ .
عضيدي وذخري حازم مأمون
. . . . /٦٣ .
. . . .
ونتابع الأعمال ونرفض الإهمال / ٦٤ .

وعمهم ونسله لي ذخر وسنام
وأنا ونسلي وما نملك لهم على الأقل / ٦٥ .
وعضيدي الفاهم المخلص الوفي
فخري وذخري ما ألقى له مثيل / ٦٦ .
إبراهيم وإخوانه وهم يحجون
وأبناء عمهم وأخواتهم والآل / ٦٩ .
والجمعا معزة قالها الماضون
وأثبتها الواقع بلا جدال / ٧٠ .
هات اليراع وآلة التسجيل
أو بالتلكس أسرع وفصله تفصيل / ٨٦ .
وصلاة ربي عدماهب نسناس
على النبي وعدا لحجر والرمالا / ٨٨ .
لا هوب لحاح ولا هوب يخطي
ومن لامني جعله كفيف يوالا / ٩٤ .
صد و نفر عنق المهاظبي مدراس
من يوم كلمته بشي حلالا / ٩٥ .

يلّي شوفك منظر الزين لا بـــاس

ميـر انتبـــه للعاقبـــة لا تحـــــالا / ٩٦.

يا الله عسى خير وتساهيل وأفراح

أنت المدبر المعبـــود يا ذا الجـــلالا / ٩٨.

قافية « م »

وشكـــراً لربـــي ما ورد النســـم

من الخلـــق ذو روح ومـــا ردد الكلـــم / ٩١.

وما اخضر غرس واجتنى من ثماره

وعد الرمـــل وعد ما خـــط القلـــم / ٩١.

قافية « ن »

يالْوِفي اصبر على ما جاك مني

مثل ما يصبر على الطرد الحصـــان / ٣٠.

وكل ما شفت المحاسن ذكرنـي

بالعزيزيـــن الوفيين وكمانـــــي / ٣٨.

وخابر خلـي وفـي أخير منـــي

كم تجاهل غلطتـــي ولا شنانـــي / ٣٨.

يوم جيت البيت في وقت الظهر

والاه مظلـــم والجميـــع مكتمـــــين / ٥٢ .

الوالدة ماشي كما ها بالبشـــــر

تعبـــت وربتنـــا وحنـــا مصغريـــن /٥٣ .

يا عضيدي يا شريكي بالأمـــر

.... / ٦١ .

....

والجمعا معزة وأنـت سيــد العارفـين / ٦١ .

دار ظبيك سايســه حتى يقـــر

صرتم لبعــض أسـرة ومتلاحقـــــين / ٦٢ .

ونخاطر بالأرواح ظهراً وغدراً

ومعنا الذهب بالتكس أشكال مليان / ٦٤ .

يا إبراهيم استمع ها القاف مني

جارك اللـــه من غرابيـــل الزمـــان / ٧٢ .

ترى الحماقة والعنــاد يحطمن

انتبه لاحظ علــى طــول الزمـــــان /٧٣ .

اغتنم أوقات درسك لاتـــون

ناظر اللــي اغتنم بأعلــى مكانـــي / ٧٤.

فاحرص وتابع واغتنم دوم واذرا

على صحتك مع سمعتك بين سبعان / ٧٦.

وصالح نجح وأخباره دايم تسرا

فتسابقوا للطيب فــي كل ميـــدان / ٧٦.

ليلة الجمعة بعاشر مــن صفــر

سافــروا «بمظـل» واحــد وأربعـــين / ٨٥.

وصلاة ربي عد حبات المطـــر

على النبي والآل والصحب أجمعين / ٨٨.

والحمد لله وألف مليار شكراً

علــى فضائلــه العديــدة والإحسان / ٩١.

واعسى من لامني يغشاه جني

طــول عمــره مبتليــه وبهلوانـــي / ٩٤.

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقـــة

والأذن تعشـــق قبـل العـين أحيانــا / ٣٤٥.

أسعفيني يادافقـــات المعانـــــي

واحضنينـــي يادافئـــات الأمانـــــي / ٣٧٢.

أنا صب عشقت لهجة قومـــي

لغـة العـــرب تـــاج كل لسانــــــي / ٣٧٢.

زادها اللـــه رفعـــة وجـــــلالا

وجمـــالا بمعجـــز القـــــــــرآن / ٣٧٢.

قافية « هـ – ة »

لو نجتهد كل الجهـــد وانتعنـــا

مثـــل الذي ينزح مـــن البيـــر بغطـاه / ٢٨.

قلت أوقفي، هيه ، أنا كشـات

وعنـــــدي غـــــزال مربيهـــــا / ٣٣.

ما بـــه عيـــوب ولا هنّـــات

الحمـــــد للـــــي عطانيهــــــا / ٣٤.

وإن جاموا جيب وبه ربشـات

تـرضـين صنعـــــة أياديهـــــا / ٣٤.

مع غيبة الشمـــس بالمثنـــاة

شمـس بدت لــي تضاهيهـــا / ٨٤.

دن القلـــم والسجلـــة

واكتب ياصاحـي باســم اللــه / ٨٦.

وخذ بالمعنى واجزم واكتـب

عقـب البسملــة حمد اللــه / ٨٦.

من لامنـي جعلــه السلال

وكــل يذمــه ويهبــي بــــه / ٩٤.

يورنّــه القيــظ بالشتوات

ويلعــبن بــه مداريهـــا / ١٠٠.

يا(واد) فتح عيونك وانتبه دومات

قاله لـي العـم مرات وشدّ عليّـه / ١٠١.

* * *

نبذة عن المؤلف

* ولد عام ١٣٤٤هـ في مدينة عنيزة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية.
* جزء من دراسته الابتدائية بعنيزة وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة.
* حصل على الليسانس من دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٣٧١م.
* حصل على الدكتوراة في التاريخ من جامعة لندن عام ١٣٨٠هـ.
* عُيِّن في العام نفسه أميناً عاماً لجامعة الملك سعود.
* عُيِّن وكيلاً للجامعة عام ١٣٨١هـ حتى عام ١٣٩١هـ.
* درّس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية الآداب.
* انتقل من الجامعة رئيساً لديوان المراقبة لمدة عامين تقريباً، ثم وزيراً للصحة لمدة عامين تقريباً، ثم وزيراً للمعارف لمدة ٢١ عاماً.
* عُيِّن في ١٤١٦هـ وزير دولة وعضواً في مجلس الوزراء.

كتب صدرت للمؤلف

* ألَّف عام ١٣٩٠هـ كتابي: «الشيخ أحمد المنقور في التاريخ» و «عثمان ابن بشر».
* ألَّف عام ١٣٩٥هـ كتيب: «في طرق البحث».
* طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك «الظاهر بيبرس» باللغتين العربية والإنجليزية.
* حقق عام ١٣٩٦هـ كتاب: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» ونشره.
* حقق كتاب: «حسن المناقب السريّة المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي، ونشره عام ١٣٩٦هـ.
* من حطب الليل: الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ، والثالثة عام ١٤٢٥هـ.
* ألَّف عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م كتاب: «قراءة في ديوان محمد بن عبدالله ابن عثيمين».
* ألَّف بين عامي ١٤٠٩ و ١٤١٤هـ كتاب: «أي بُني» في خمسة أجزاء.
* ألَّف منذ عام ١٤١٤هـ كتاب: «إطلالة على التراث» سبعة عشر جزءًا.
* ألَّف عام ١٤١٨هـ كتاب: «يوم وملك».
* ألَّف منذ عام ١٤١٩هـ وحتى ١٤٢٧هـ ثلاثة أجزاء من كتاب: «ملء السلة من ثمر المجلة».
* ألَّف عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠١م حديث الركبتين.
* ألَّف عام ١٤٢٤هـ كتاب: «لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية».
* ألَّف عامي ١٤٢٥/ ١٤٢٨هـ جزأين من كتاب: «دمعة حرى».
* ألَّف من عام ١٤٢٦ حتى ١٤٢٩هـ عشرة أجزاء من كتاب: «وسم على أديم الزمن ـ لمحات من الذكريات».
* ألَّف عام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م كتاب: «بعد القول قول».
* ألَّف عام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م كتاب: «رصد لسياحة الفكر».
* ألَّف عام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م كتاب: «السلام عليكم».
* ألَّف عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م كتاب: «نَزُّ اليَراع».

رصد لسياحة الفكر

هذا كتاب يسجل دراسات لي قمت بها لبعض الكتب التي صدرت في المملكة العربية السعودية، وهذه الدراسات إما مقدمات لكتب قبل طبعها، أو نظرات في كتب طُبعت وظهرت، وقرأتها وأعجبني ما فيها، ورأيت فيه فائدة للقُراء، فأبديت لهم رأيي، علهم يجدون الوقت ليتمتعوا مثلما تمتعت.

ردمك: ٢-٨-٦٠٨-٥٩-٩٩٦٠-٩٧٨

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض